الزيّدية

الزيّدية

(مختصر)

تأليف

د. أحمد محمود صبحي

أستاذ الفلسفة الإسلامية

كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

الطبعة الثانية

١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م

مقدمة الطبعة الأولى
(مختصر)

هذه حلقة من سلسلة دراسة أهم الفرق الإسلامية.

وقد سبق أن عرضت لكل من المعتزلة والأشاعرة، وأتابع عن إحدى فرق الشيعة وأعني الزيدية.

ويهدف هذا العرض إلى وصل الماضي بالحاضر، إذ من أعراض تدهور الفكر الإسلامي الحديث إنقطاع صلة مسلمي اليوم بماضيهم.

إنتمائي المذهبي إلى إحدى هذه الفرق (أعني أهل السنة) لم يمنعني من السعي أن تكون النزاهة مقصدي وأن أوفّق للتقريب بين فرق المسلمين.

الزيدية

التصور العام أن الزيدية هي إحدى فرق الشيعة لذلك ستكون بداية الدراسة، بحث التشيع، وعوامل نشأته، وأهم فِرقهِ، تَنتَسب الزيدية إلى الإمام «زيد» بن علي بن الحسين (زين العابدين) وقد كان مبدأ الزيدية، هو الخروج على دولة الظلم، وقد نجحت بعض حركاتهم في إقامة دول.

- **دولة الأدارسة في المغرب ومؤسسها إدريس بن عبد الله.**
- **الزيدية الهادوية في اليمن ومؤسسها يحيى بن الحسين.**
- **الزيدية الناصرية في الديلم وطبرستان ومؤسسها الناصر الأطروش.**

وقد حذت الزيدية، حذو المعتزلة في الأصول، وحملت تراثها، وحافظت عليه.

فالحاكم الجشمي كان معتزلياً ثم «تزيد».

ويحيى بن حمزة الذي يمثل ذروة الفكر الزيدي.

وأحمد بن يحيى المرتضى وهو زيدي.

الزيدية شايعت المعتزلة كفكر ولكنها آثرت الجوانب العملية (فقد اهتم الزيدية بالبحث في أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبحث الإمامة وما يتفرع عنها).

وظهر في المذهب الزيدي، تيار قوي يميل إلى أهل السنة عامّةً وقد مثله كثيرون، منهم ابن الوزير، وابن الأمير، والشوكاني.

إن أمثال يحيى بن الحسين، ويحيى بن حمزة، وابن المرتضى، وابن الوزير والشوكاني، لا يقلون أهمية وقدراً من مفكري الأشعرية، لولا أنه قُدِّر لهؤلاء ذيوع الصيت وإنتشار المؤلفات، بينما ظلت معظم كتب الزيدية مخطوطة حبيسة الأقبية والمكتبات التي يتعذر قراءتها.

الزيدية أقل المذاهب الإسلامية حظاً من الدراسة، لأن دارسو الفلسفة قد آثروا عليها دراسة الإسماعيلية لما فيها من أفكار فلسفية، وأما الدارسون للفِرَق ربما أعوزتهم المصادر اللازمة للبحث، إذ أغلبها ما زال مخطوطاً وقابعاً في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، أو لدى أفراد من زيدية اليمن.

أما وقد أسعدني الحظ بالذهاب إلى اليمن، فقد وجدتها فرصة سانحة لتقديم فكرة للقراء، عن مذهب من أهم مذاهب المسلمين وأكثرها تسامحاً واعتدالاً.

فإن قُدِّر لهذا الكتاب أن يستحث الباحثين وخاصة اليمنيين على الاهتمام بدراسة الزيدية أكون بذلك قد وُفقت.

والله ولي التوفيق

المؤلف
د. أحمد محمود صبحي
15 شعبان 1400هـ
28 يونيو 1980 م

الباب الأول

الفصل الأول

نشأة التشيع، وسبب إنقسام المسلمين إلى سنة وشيعة:

الشيعة إحدى فرق المسلمين وأكثرها عدداً بعد جمهور السنة.

يجمع فرق الشيعة ويميزها عن أهل السنة، الاعتقاد أن عليّاً، أحقُّ بالخلافة والإمامة بعد وفاة النبي ﷺ.

يثير هذا المعتقد تساؤلين:

الأول: لماذا هذا المعتقد بقيَ على مدى ثلاثة عشر قرناً ونصف، وقد انتهى أمر (عليّ) من الدنيا هو وصاحبه (أبو بكر).

الثاني: لماذا أُضيفت القداسة على الإمام عليّ بن أبي طالب دون سائر الصحابة، مع أن خلافته كانت فِتناً وحروب أهلية لم يعهدها المسلمون في عهود من سبقوه من الخلفاء.

للإجابة على هذين التساؤلين عليَّ في البداية أن أستبعد ما دأب عليه الباحثين (قدامى ومُحَدثين) من ردّ عقائد الشيعة إلى التأثر باليهودية، لأن هذه القضية تجافي النزاهة والموضوعية وهي تستند إلى مسلَّمة، لا أسلِّم بها، وهي إستبعاد الشيعة من حظيرة الإسلام، وأستبدل بها مسلَّمة. هي:

أن نقطة البدء في نشأة أي فرقة إسلامية، يجب أن نلتمسها من البيئة الإسلامية ذاتها، وما هي العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي تعرضت لها حضارة الإسلام وتاريخ المسلمين.

وإني ألتزم بصدد دراسة فرق الشيعة، مما سبق أن إلتزمت به، من دراسة

المعتزلة، والأشاعرة، دراسة فلسفية، تنأى عن الحساسية والمذهبية.

إني أظن أن جوهر الإختلاف بين الشيعة والسنة، يدور حول موضوع سياسي، وإن إتخذ طابعاً عقائدياً.

عودٌ إلى التساؤل؟ ما معنى أن يدين قوم بموالاة (عليّ) إلى اليوم ويرون أحقيته بالخلافة بعد النبي ويجعلون من إمامته، عقيدةً لهم، يُلحقها بعضهم بالشهادتين.

ولماذا عليٌّ بالذات؟ إننا إذا حكمنا بالظواهر، فإن فترة حكم عليٌّ، لم تكن إلّا فتناً وحروب أهلية، تقاتل فيها كبار الصحابة، وكان عليٌّ طرف فيها، بصرف النظر عن وجه الحق في هذه الحروب.

وعليٌّ لا يُعد أفضل الصحابة في نظر الشيعة فقط، إنما في نظر أغلب الصوفية، وفريق كبير من المعتزلة.

نشأة التشيُّع:

ليست هناك نقطة بدء تاريخية متفق عليها بين الباحثين بنشأة التشيُّع، كما اتفقوا بالنسبة لسائر الفرق كالخوارج والمعتزلة والأشاعرة مثلاً.

هناك حوالي نصف قرن بين وفاة النبي وإستشهاد الحسين من (11 ـ 61هـ) نتلمس سير الأحداث وصِلتها، بنشأة التشيُّع خلال هذه الفترة.

في أن التشيُّع قد نشأ عقب وفاة النبي:

يقول أبو الحسن الأشعري: أن أول ما حدث من الإختلاف بين المسلمين، بعد وفاة نبيهم ﷺ هو إختلافهم في الإمامة[1]، ذلك أن المسلمين قد اختلفوا

---

(1) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ص 8 ـ 18 وقد ظهرت وجهة النظر الأولى والثانية في اجتماع السقيفة، حيث تمت البيعة لأبي بكر ولم يحضر عليٌّ الاجتماع إذ كان مشغولاً بدفن النبي ﷺ.

فيمن يتولى أمرهم بعد النبي وقد ظهرت وجهات نظر ثلاث:

١ ــ وجهة نظر الأنصار:

فهُم أوّل من آوى ونصر، وقد مكث الرسول ﷺ بضعة عشر سنة ولم يؤمن من قومه، إلا القليل، حتى خصَّ الله الأنصار بفضيلة الإيمان، وقد استقام الأمر لرسول الله بأسياف الأنصار واتخذ رسول الله مدينتهم مكان إقامته، ودُفن فيها.

٢ ــ وجهة نظر المهاجرين:

وهم أول الناس إسلاماً، وأوسط العرب أنساباً، وكانت العرب تدين لقريش في الجاهلية والإسلام، فالخلافة في قريش وقد عبَّر عن هذا الرأي أبو بكر الصديق.

٣ ــ وجهة نظر بني هاشم:

إذا احتج المهاجرون على الأنصار بالقربى من رسول الله، فبنو هاشم أقرب الناس إلى الرسول، فإ ينبغي لخلافة محمد أن تخرج من دارِهِ ما دام فيهم القاريء لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله[1].

وهذه وجهة نظر عليّ بن أبي طالب، وقد وافقه عليها العباس بن عبد المطلب، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب.

كانت بواعث القرابة هي سبب التأييد من العباس والزبير وخالد الأموي، وعبد الله بن العباس.

أما البقية من الصحابة فكان سبب تأييدهم لعليّ هو الأفضلية على غيره. مثل المقداد، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن

---

(1) سبق ذكره في المصدر السابق.

عازب وأبي بن كعب، وهؤلاء يراهم جمهور الشيعة رُوّادهم الأوائل.

غير أن تولي أبي بكر، لم يحسِم مشكلة كيفية اختيار الخليفة إذ يتعذر أن تستنبط من بيعته قاعدة شرعية لاختيار الحاكم. لقد كانت بيعة أبي بكر (فلته في رأي عمر).

كان هذا أول الوهن في النظام السياسي للإسلام، أن تتم بيعة خليفة، دون إستناد إلى مبدأ شرعي، سواء كان نصاً أم إجتهاد.

وإذا أضيف إلى ذلك، أن معظم كبار الصحابة لم يكونوا حاضري بيعة السقيفة، وإلى ما أشيع أن عمراً قد ساق الناس إليها سوقاً، وقد تم الأمر على عجل.

إن غياب أي قاعدة شرعية، سواء في بيعة أبي بكر، أو من أعقبه، جعل مبدأ الغلبة هو السائد، حيث لا تشريع يحول دون قيام الملك العضوض وهذا ما حصل بعد ثلاثين سنة، وذلك بقيام الدولة الأموية.

وزاد في الأمر تعقيداً أن تباينت طرق اعتلاء الخلفاء الثلاثة، من بيعة تمت فلته، ثم إستخلاف، ثم أن تكون في ستة هم المرشحون وهم الناخبون على السواء.

بل أصبح المرشحون خمسة، والناخب واحد، وقد برّر بعض الفقهاء، كابن تيمية، وابن القيِّم، أن عبد الرحمن بن عوف قد استشار الناس، ثلاث ليال سوياً، فوجدهم لا يعدلون بعثمان أو عليّ أحداً

وفي رأيي، أن ذلك تبرير بأكثر منه تقرير، لأن الأمر كلّه، كان موكولاً لكلمى من عبد الرحمن، حدَّدت أكبر وأخطر قرار في تاريخ المسلمين، وقد بنى اختياره على قاعدة غير معروفة في الشرع، إذ قرَنَ سيرة الشيخين، بكتاب الله وسنة رسوله، شرطاً على كل منهما، ولم يقل أحد من قبل ولا من بعد أن سيرة المرشحين، تقرن بكتاب الله وسنة رسوله.

وعندما اعترض عليّ، قال عبد الرحمن: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾

وأضاف خطأً آخر هو الإستشهاد بآية في غير موضعها، فضلاً عن أنها لا تقال لمثل عليّ.

وهكذا تمَّ اختيار الخلفاء الثلاثة، بين غياب تشريع، وبين خطأ في تطبيق التشريع.

خلافة عثمان

أفضى الأمر إلى عثمان وتلاحقت الأحداث في السنين الأخيرى لخلافته.

وينسب الكثيرون ظهور التشيُّع إلى هذه الفترة، ويردُّها بعض أهل السنّة إلى شخصية يهودي أسلم ليكيد للإسلام والمسلمين، وهو (عبد الله بن سبأ) ويصوره القائلون بهذا الرأي، محركاً للأحداث التاريخية، العقائدية في هذه الفترة، من أواخر عهد عثمان، وأثناء خلافة عليّ.

فهو يؤلب الناس على عثمان حتى أفضى الأمر، إلى حصاره وقتله ثم هو يثير حرب الجمل، وهو أول من نادى، بقداسة عليّ وأنه وصيّ النبي، وأنه قال برجعته بعد مقتله، ثم أول من هاجم الخلفاء الثلاثة واعتبرهم مغتصبين حق عليّ.

ويهدف كتّاب أهل السنّة، من أشاعرة وسلفية، من هذه الرواية، إلى إدانة التشيع من جهة، وتبرير قيام حرب، بين كبار الصحابة، وتبرئتهم من دمائها، حتى تتسنى موالاتهم جميعاً من جهة أخرى.

لقد ساءتهم الحرب، وأرادوا أن يحفظوا للصحابة مكانتهم في نفوس المسلمين، فلم يجدوا إلا أن يتحمل وزر ذلك كله يهودي أسلم ليكيد للإسلام.

ولكن فاتَهم أن هذا التفسير، يعني أن يهودياً نكِرة قد تلاعب بصحابةٍ كبار فأثار بينهم قتالاً.

وأما ما اختلقه ابن سبأ من عقائد، فقد أثبت البحث الدقيق، أن هذه الأفكار المنسوبة إليه من إختلاق المتأخرين، وأنه من المتعذر أن يتمثلها الفكر الإسلامي في هذا الوقت المبكر. إذ أنها تقتضي إمتزاج الثقافات واختلاط

العقائد، ذلك أن تصورات التألية والمهدية، إنما تعكس أفكاراً ما كان لها أن تظهر قبل القرن الثاني.

وقد أدى التشكك في الدور الذي قام به ابن سبأ سياسياً وعقائدياً. إلى التشكيك في وجوده أصلاً، فذهب طه حسين إلى أن ابن السوداء، لم يكن إلا وهماً، وأن أمر السبأية، ليس إلا أمراً متكلفاً منحولاً قد اختُرع من أوله إلى آخره، وقد ادَّخره خصوم الشيعة للشيعة، ليدخلوا في أصول هذا المذهب عنصراً يهودياً، إمعاناً في الكيد لهم والنيل منهم[1].

إن ابن سبأ، اسم ابتدعه الأمويون، وروَّجوا له في دوائر أهل السُنَّة، ويعنون به (عمار بن ياسر) أكبر أنصار عليّ، ما كانوا يستطيعون، أن يروّجوا لسب عمّار وذمِّه، وقد وردت في مدحه أحاديث عن الرسول، وأنه (تقتله الفئة الباغية)، وقد قتل في معركة صفين في صفوف عليّ، فلم يجد الأمويون وسيلة لذمه، إلا باختراع، اسم عبد الله بن سبأ، وسبِّه بين أعوانهم كما كان يُسبّ عليّ بن أبي طالب على المنابر، بين طغام أهل الشام باسم (أبي تراب) فإن سُئِل من هو: قيل من عمُّه أبو لهب.

كارثة كربلاء

كان الحدث الحاسم، بعد هذه الأحداث جميعاً، هو فاجعة كربلاء (10 مُحرَّم عام 61هـ).

لم يكن التشيُّع قد تغلغل في قلوب أهله، حتى جاءت هذه الكارثة لتجعل من التشيع مذهباً وعقيدة.

أدركت الشيعة بعد هذه الفاجعة، أن اقتلاع سلطان الغاصبين من بني أميَّة، لا تكفي فيه قوة السلاح، وأنه وإن عزَّ النصير بسلاح الحرب، فلا بدَّ من قوةٍ معنوية تشد أزر القوة الماديَّة. ذلك هو سلاح الفكر، إذا أن للكلمة أحياناً أثراً أبقى من السيف.

---

(1) طه حسين: علي وبنوه ص 98 ـ 100.

إن بذرة التشيع، كانت كامنة عقب وفاة الرسول في أولئك النفَر الذين يرون عليّاً أفضل الصحابة وأحقّهم بالخلافة، ونبتت البذرة، بعد أن فاتت الخلافة عليًّا ثلاث مرات، وخاصةً في المرة الثالثة، وبعد غياب تشريع مبني على إجتهاد ديني لأصول الحكم، واختيار الخليفة.

وقد استفحل الأمر بالفتن، في السنين الأخيرة من حكم عثمان، وبالحروب في خلافة عليّ، والتي برزت فيها المطامع الشخصية المستترة تحت قميص عثمان، حتى جاءت كربلاء لتقطع الخيط الأخير الجامع لوحدة المسلمين.

الفصل الثاني

لماذا كانت الموالاة لعليّ دون سائر الصحابة؟

1 ـ مبررات أفضلية عليّ وأحقيته في نظر الشيعة.

بقي التساؤل الثاني: لماذا كان عليّ، دون غيره محور موالاة الشيعة؟ لماذا تجسدت التيوقراطية في شخصه؟

لندع متكلمي الشيعة وعلماءهم يعلّلون ذلك:

إن علم عليّ هو أبلغ فضائله، فلا يداينه في ذلك أحد من الصحابة، إلى حد أن جميع العلوم الدينية، تنسب مبتدأة به.

يقول شارح منهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ما أقول في رجل، إليه تُعزى، كل فضيلة، وتنتهي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رأس الفضائل وينبوعها، كل من بزغ فيها بعده، فمنه أخذ وبه اقتفى، وعلى مقاله احتذى، وأشرف العلوم هو العلم الإلهي.

فالمعتزلة، وكبيرهم واصل بن عطاء، تلميذ أبي هاشم ابن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وابوه تلميذ عليّ وابنه.

وأما الأشعرية فإن أبا الحسن الأشعري، تلميذ أبي علي الجبائي أحد شيوخ المعتزلة، وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر.

ومن العلوم، علم الفقه... أما أبو حنيفة فقرأ على (جعفر بن محمد الصادق) وكان يقول لولا السنتان لهلك النعمان.

والشافعي قد قرأ (على محمد بن الحسن) ويرجع فقهه إلى أبي حنيفة.

وأحمد بن حنبل، قرأ على الشافعي، ومالك بن أنس قرأ على (ربيعة الرأي) وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة، على عبد الله بن عباس، وقرأ عبد الله بن عباس على (عليّ).

وأما فقه الشيعة فإليه ظاهر.

ومن العلوم: تفسير علم القرآن وعنه أُخذ، لأن أكثره عن ابن عباس، وكان ملازماً لعليّ ومنقطعاً إليه.

ومن العلوم: علم النحو، وهو الذي أنشأه، وابتدعه وأملاه على أبي الأسود الدؤلي.

وأما الفصاحة، فهو إمام الفصحاء وسيد البلغاء[1]، ويُتناقل الحديث عن الرسول ﷺ: أنا مدينة العلم وعليَّ بابها.

تعقيب

تفسِّر هذه الفضائل، مكانة عليّ، وأفضليته على سائر الصحابة، لدى الشيعة وغيرهم كالصوفية والمعتزلة. ولكنها ليست كافية لتفسير كيف أصبح التشيُّع، لهُ جزءاً من الدين لدى الشيعة.

قبل البحث عن عوامل أخرى، نذكر نصّاً يفسر أسباب قداسة عليّ وما احتله من مكانة في قلوب شيعته.

يقول النقيب أبو جعفر في نهج البلاغة

كما كان أكثر الناس موتورين في الدنيا، والمستحقون أكثرهم محرومون، بينما الحمقى والجهلاء حظهم في الدنيا عظيم تدرُّ عليهم الخيرات. بل أن ذوي الفضل والإستحقاق غالباً ما تضطرهم الدنيا إلى الذل والخضوع إلى هؤلاء

---

(1) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ص 126 ـ 159.

خوفاً من أذاهم أو استجلاباً لنفعهم. ولما كان عليّ مستحقاً محروماً بل هو أمير المستحقين المحرومين وسيدهم وكبيرهم، فإن الذين ينالهم الضيم وتلحقهم المذلة يتعصب بعضهم لبعض، ويكونون يداً واحدة، على الذين استأثروا بالدنيا ونالوا مآربهم.

فما بالك إذا كان هؤلاء المحرومين، رجل عظيم القدر، جليل الخطر. كامل الشرف، جامعٌ للفضائل، محتوٍ على الخصائص والمناقب، وهو مع ذلك، محروم جرَّعته الدنيا علاقمها، وعلا عليه من هو دونه وحكم فيه وفي بيته وأهله ورهطه، من لم يكن ما ناله من الإمرة والسلطان في حسابه، ولا دائر في خلده، ولا كان أحد من الناس يرتقب ذلك له، ولا يراه أهلاً له.

ثم كان في آخر الأمر، أن قُتل ذلك الرجل الجليل وقُتل بنوه من بعده، وسُبي حريمهُ ونساؤهُ، وتتبع أهله وبنوه بالقتل والطرد والتشريد والسجون، مع فضلهم وزهدهم، وعبادتهم وسخائهم وانتفاع الخلق بهم، فهل يمكن أن لا يتعصب البشر كلهم مع هذا الشخص، وهل تستطيع القلوب أن لا تحبه ولا تهواه وتذوب فيه، وتتغنى في عشقهِ إنتصاراً له وحميَّةً من أجله، وامتعاظاً مما ناله.

على أن تحليل النقيب أبي جعفر للتشيع لعليٍّ، يجعل من الموالاة، شيئاً أقرب إلى الشفقة منها إلى القداسة، لقد جعلها عاطفةً تجمع من جمعتهم المصائب.

ولو كان التشيع راجعاً إلى العاطفة، لانتهى منذ زمن بعيد إذ أن العواطف لا تدوم.

لا بد إذن من تحرِّي الأسباب المنطقية، لموالاة بقيت على مرِّ الزمان.

وللمؤلف رأي آخر، في أسباب التشيُّع لعليّ:

الأولى: نلتمس أسباب موالاة عليّ والتشيُّع له، من السنين الخمس التي كان فيها خليفة، كانت كلها فتن؛ إلتبس فيها وجه الحق، فإنها أدَّت إلى احتلاله مكانةً في قلوب الشيعة، فضلاً عن الصوفية.

الثانية: أن القداسة التي اكتسبها، بسبب تمسكه والدفاع عن المباديء والقيم التي يؤمن بها، ولم يتهاون فيها في أحلك الظروف.

لا يثنيه عن ذلك، أنه يحارب مسلمين، ولا يفتُّ عن عزيمتهِ أنه يواجه نفراً من كبار الصحابة، حتى أنه كان يقول: «لو كُشِف الغطاء عني لما ازددتُ يقيناً».

وكان يقول، أنه يحارب على تأويل القرآن، كما كان رسول الله يحارب على تنزيله.

خلل اقتصادي أراد أن يصلحه:

إستهلَّ عليّ حكمهُ بخطبةٍ حددَّ فيها سياسته، وخلاصتها أنه سيحمل الناس على نهج المساواة في العطاء، كما كانت على نهج نبيِّهم، وأنه إذا كان هناك رجال قد أثْرُوا، وملكوا العقارات وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصيفات، ثم هو منعهم من ذلك كله، فالمال مال الله يجب أن يقسم بالسوية.

وحدَّد اليوم التالي، لتوزيع العطاء على جميع المسلمين بالسواء لا فضل لعربي على أعجمي ولا لحر على عبد.

وقد تخلَّف نفر من كبار المهاجرين، كالزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، كما تخلَّف الأمويون المقيمون في المدينة وعلى رأسهم مروان بن الحكم، فأقسم عليّ ليقيمهم على المحجة البيضاء، والطريق الواضح.

ولم يكتف عليّ بالمساواة في العطاء، ولكنه عمد إلى استرداد ما أخذ في عهد عثمان من مال بغير حق، معلناً أن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه هو مال الله، فهو سيُرد إلى بيت المال فإن الحق القديم لا يُبطله شيء، فأعاد إلى بيت المال كل ما أخذه الأمويون من أموال، وحينما بلغ عمر بن العاص ذلك، لم يكن قد انضم بعد إلى معاوية، كتب إليه يقول:

ما كنت صانعاً فاصنع إذا قشرك ابن أبي طالب كل مال تملكه، كما تُقشر العصا من لحاها.

وعندما وجد عليّ نفراً من الناس قد ساءهم ذلك، خطب فيهم مشيراً إلى قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ. . . . إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ وحذرهم أن تغرُّهم الحياة الدنيا، وأنه ليس لأحد على أحد في هذا الفيء إثره، وأنه لم يحكم بالمال، إلا ما حكم به رسول الله ﷺ.

ذلك هو السبب الخفيّ والحقيقيّ، لخروج من خرج على عليّ، ولنكوث من نكث على بيعته، وإن توارى ذلك وراء دعوى مفتعلة، اسمها دم عثمان.

أراد أن يعيد المساواة الاقتصادية، كما كانت على عهد رسول الله، بعد أن نشأت طبقة قوامها المال، ودعواها السيف إلى الإسلام، وصحبة رسول، وقد أحاط الناس بهم، بما يفيض هؤلاء الأغنياء من سادة قريش على الاتباع من هبات وأعطيات، فالتفَّ أهل الكوفة حول الزبير، واهل البصرة بطلحة، وكان الناس يسلّمون عليهما بالإمرة، ويرجون لكل واحد منهما الخلافة.

وكان عثمان قد سمحَ بامتلاك الضياع وتشييد القصور، ومنهم الزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف، وزيد بن ثابت، وكان بني أمية أكثر قريش استأثاراً بالضياع والأموال[1].

هرم اجتماعي مقلوب أراد أن يُعدِّله:

كان لا بد أن ينعكس ذلك على البنيان الاجتماعي، فقد أصبح في قِمّته بنو أمية وهم من الطلقاء، الذين أسلموا متأخرين، وفي سفحه الأنصار الذين رضوا أن تستأثر قريش بولاية الأمصار، وامتلاك الأرض والمال، ولم يشاركهم في أسفل السلّم الاقتصادي، إلا الشعوب المغلوبة على أمرها، من أصحاب الأقطار المفتوحة. . .

لقد عملوا بنصيحة رسول الله ﷺ أن يصبروا، إذ سيلقون إثرةً، حتى يرَدِون عليه الحوض.

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى. والمسعودي: مروج الذهب.

هذا هو البنيان المختل الذي ورثه عليّ، فأراد أن يقومه، فاستنكر عليه سادة قريش عزمه على الإصلاح، بينما التف حوله الأنصار والمستضعفون في الأرض، ومن آثروا دينهم على دنياهم.

وضع سياسي معوج أراد أن يقومه:

لم يكن الوضع السياسي بأقل خللاً، إذ كان ولاة الأمصار في عهد عثمان، هم سبب الفتنة، وثورة الناس، وهم من أقاربه.

وقد نصح بعض الناصحين الإمام أن يُثبّت معاوية على الشام إتقاءً لشرِّهِ، ولكن عليّ رفض.

واتخذ عليّ ولاته، من الذين أُبعِدوا في عهد سابقيه دون سبب، لأن السبب كان السبق أو القرابة لرسول الله الذي يحجب المرء عن الولاية.

وكان معياره في ذلك هو العدل مع الرعية.

وحيد إلا مع نفر قليل معه، أمام تيار جارف من المطامع الدنيوية

لم يعرف عليّ شيئاً من التهاون في إقامة الحق والعدل، وقد يرى البعض أن هذا التشدُّد في التمسك بالحق، هو الذي جعله يخسر في النهاية.

لكن الأمر لم يكن مجرد حرب مع معاوية، إنما كان يجابه طبع البشر، وطابع ذلك العصر، وكان يريد أن يُصلح إعوجاجاً قد حصل، وتياراً جارفاً من المطامع الدنيوية.

أخفق عليّ، ولكن في إخفاقه سر موالاته وتقديسه، لقد أراد الناس لدينهم، ولكنهم خذلوه في حياته، ليعودوا ويقدِّروا شأنه بعد مماته.

والذي زادَهُ قداسةً، هو أنه بدأ بنفسه يحاسبها بأشد من مُحاسبة ولاته، حتى أصبح قدوةً للصوفية وشيخهم الأول في الورع والزهد ومحاسبة النفس.

يُحكى عن ورعه وزهده، ما لا يُعد ولا يحصى.

كان إذا فرغ من إدارة شؤون المسلمين، أطفأ شمعة ثمنها من بيت مال المسلمين، ليوقد أخرى من ماله الخاص .

عنَّف ابنته أشد التعنيف إذ رآها متزينة بقلادة إستعارتها من بيت المال، وقد وعدت بردِّها بانتهاء العيد، وأخيراً قُتل عليّ وليس في بيته، إلا بضع دراهم كان يريد أن يستأجر بها خادماً لأهله، كما أعلن ابنهُ الحسن عقب الوفاة.

«آية الشهيد أن يُبخس حقه في الحياة، لِيُعطى هذا الحق بعد الممات» (عباس محمود العقاد).

يعلو الباطل زمناً، لكن دعاة الحق يبقوا في قلوب الناس يعلوهم الوقار والقداسة، ولا يبلغ شأوهم أحد، فقد استشهد من قبل حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب، وهما من أقرباء رسول الله، استشهدوا دفاعاً عن الإسلام ضد الشرك، ولكن القضية كانت واضحة.

أما عليّ فقد ضيَّع أهل الباطل حقَّه، ولا تجد مسلماً يطعن في حمزة أو جعفر، ولكن أجهزة الباطل قد تألَّبت عليه، مما زاد من أهل الحق وهم قلَّة إلا تقديساً وموالاةً له.

تحذير بسوء العاقبة، قبل أن يموت وقد تحققت النذر كلها:

حذَّر عليّ المسلمين وما سيلقون من بعده وقال:

«ستجدون إثرةً من بعدي، يتخذها الظالمون فيكم سنَّةً، سيتخذون مال الله دولاً، وعباد الله خولاً».

ولكن دنيا معاوية أصمَّت آذانهم عن هذه النذر حتى إذا تحققَّت، تداول الأُمويون المال بعد أن حرموه أهله، واستعبدوا الناس، واقاموا عليهم ولاة طغاة قساة، كزياد بن أبيه، وابنه عبيد الله، والحجَّاج.

وقد اضطر الحسن موادعة معاوية لقلة الناصرين، وظن الناس أنه سيكون لهم سلام، بعد أن حُرموا العطاء لكن معاوية استخدمهم لحروبه

مع الخوارج، فخسروا دينهم ودنياهم، وما بقي لهم إلا أن يقدّسوا علياً بعد ذلك.

ربانّي هذه الأمة:

لقد انتقده أهل الظاهر من السلفية، وحاربهُ الخوارج الذي لم يتعد الإيمان تراقيهم.

وبينما قدَّسه أهل الباطن، من الصوفية والشيعة، كما قدّره المعتزلة.

وأدق ما وصف به، ما قاله الحسن البصري «رباني هذه الأمة» بكل ما يحمله هذا اللفظ من معنى.

إستشهد ولم يستطع تبليغ رسالته، لأن الناس لم تمكنه، وقد قال: «**لو استوت قدماي هاتان لبدلت أشياء**» (فمات شأنه شأن الأنبياء، الذين يأتون لبلد ليس ببلدهم وإلى قوم ليسوا بقومهم، وزمن ليس بزمنهم) (جبران خليل جبران).

كان سابقاً لزمانه، غريباً بين قومه، أخفق في نشر رسالته في حياته، ولكنه بقي على مرّ الزمان إماماً.

إن عليّاً كان يمثل مُثلاً سامية في الإسلام لم يفهمها الكثيرين وحارب من أجل روح الإسلام ومغزاه، لا من أجل اتساع رقعة الإسلام، وزيادة عدد المسلمين، لأن المبادىء أمور معنوية لا يفهمها عامة الناس.

الفصل الثالث

فرق الشيعة:

فرق الشيعة تزيد على العشرين، أهمها وأبقاها إلى يومنا هذا ثلاثة:

الزيدية، الإثنا عشرية، والإسماعيلية

الإختلاف بين هذه الفرق له وجهان:

الوجه الأول: الاختلاف في تحديد أشخاص الأئمة بعد الحسين، ووجه آخر يتصل بأسلوب المعارضة السياسية للنظام القائم.

الزيدية فقد قالت: بأن الإمامة تكون لكل فاطمي عالم عدل شجاع خرج بالسيف، فآثرت زيداً على محمد الباقر ابني زين العابدين.

ثم من بعد زيد، ابنه يحيى، ثم سلسلة من الأئمة الخارجين بالسيف، وأهم مبادىء الزيدية، الخروج على الظالم، سواء كان الإمام حسنياً أو حسينياً.

فرق الشيعة تتفق جميعاً على ثلاثة: هم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين.

وأما زين العابدين، فهو لدى الزيدية، ليس بإمام، لأنه آثر التقية، على الخروج، ولذلك اعتبروه إمام علم، لا إمام دعوة.

عند الإسماعيلية: الأئمة ستة حتى الإمام جعفر الصادق ثم بعد ذلك، الإمام السابع عندهم هو إسماعيل، ابن جعفر الصادق، ثم بعد ذلك محمد بن إسماعيل.

الإثنا عشرية:

الأئمة هم: الإمام عليّ، وبعد الحسن ثم الحسين، وابنه زين العابدين، وابن زين العابدين محمد الباقر، ثم جعفر الصادق ابن الباقر وموسى بن جعفر، وفي ذرية الأخير حتى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري.

تتفق الإمامية الإثنا عشرية والإسماعيلية، في تكريس الإمامة في ذرية الحسين دون الحسن.

أما الزيدية، في ذرية السبطين دون تمييز بشرط الخروج.

تنتسب الزيدية إلى الإمام زيد، ابن زين العابدين، كما تنتسب الإثنا عشرية إلى سلسلة من اثني عشر إماماً، بدءاً بعليّ وانتهاءً بمحمد ابن الحسن العسكري أو المهدي المنتظر.

أما الإسماعيلية، فتنتسب إلى إسماعيل ابن جعفر الصادق الأكبر، لا تنتقل الإمامة عند الإسماعيلية من الأخ إلى أخيه إلا في الحسن والحسين.

ما هو الاختلاف بين الفرق الشيعية الثلاث:

الاختلاف، هو في أسلوب المعارضة السياسية.

إن فاجعة كربلاء، جعلت فئة قليلة، تقاتل فئة كثيرة تسندها دولة عاتية راسخة.

إن ذلك يعني مزيداً من الدم المسفوك، من ذرية رسول الله وآل بيته، ولقد كاد ينقطع نسل الحسين، في كارثة كربلاء، لولا أن سلِم ابنه زين العابدين أكثر من مرة بعناية إلهية.

ولكن السكوت يعني مزيداً من طغيان الحكام، فضلاً عن الذل والهوان لذرية النبي، إذ لن يقنع الظالمون منهم بالسكوت وإنما الملاحقة والإتهام، علواً واستكباراً في الأرض.

لا مفرّ إذاً من الخروج وليكن ما يكون، خرج زيد فقتل، وخرج ابنه يحيى فقتل، وخرج محمد بن النفس الزكية فقتل ثم خرج أخوه إبراهيم فقتل، لا يهم إذ

لا يكون الإمام إماماً إلا إذا خرج على الظلم شاهراً سيفه، ذلك هو مبدأ الزيدية، بل هو أول مبادئهم، إنهم بذلك يشايعون، ويتابعون أعظم شخصيتين بين أئمة الشيعة على الإطلاق:

علي بن أبي طالب، الذي لم يقبل مهادنة معاوية، لأنه طلب الباطل وأصابه، والحسين الذي آثر ميتة شريفة ترفعه إلى أعلى مقام بين الشهداء، على أن يبايع فاجراً فاسقاً ينتحل اسم الخلافة وصفة أمير المؤمنين.

أما شيعة الإمامية، والإسماعيلية، فقد كان لهم في المعارضة رأي آخر وأسلوب مختلف.

فالإمام زين العابدين، الذي شهد بعينيه مأساة كربلاء، كان الحيّ الوحيد من بين الرجال، لم تدع له الكارثة أدنى بصيص من أمل لإمامة سياسية، أو في ثقة بالاتباع، فاعتزل السياسة، مبايعاً يزيد حقناً لدماء ذرية النبي، وإيقاف مذبحة كادت تقضي على البقية الباقية من الأنصار في موقعة (الحرَّه) عام 63هـ وآثر زين العابدين العبادة والعلم فأضفى عليه الشيعة إمامة روحية خالصة من السياسة، ولكن هل كانت بيعة زين العابدين ليزيد عن رضى؟ لا، إنها كانت عن تقيَّة، وقد اقترنت التقية لدى الشيعة الإمامية بالإمام عليّ زين العابدين.

غير أن التقية مبدأ في ظاهره، مبايعة الحاكم على إكراه، إتقاء بطشه، وفي باطنه أسلوب خفي للمعارضة، ذلك أن أحزاب المعارضة، وإن عز عليها النصر بالحرب فإنها تتجه إلى الكلمة، لتعوّض بسلاح الفكر ما فاتها بسلاح المعركة.

ومن ثم صاغ الشيعة الإمامية مجموعة من العقائد المتصلة بالإمامة، تميزهم عن سائر فرق المسلمين، جاعلين إياها أصلاً من أصول الدين، إلى جانب سائر الأصول كالتوحيد والنبوة والمعاد، ولا شك أن الكلمة أبعد غوراً وأعمق أثراً من الخروج ولكنها أبطأ أثراً في تقويض الحكم القائم.

وعرف التشيع أئمة لا يخرجون ولا يشهرون السيف، وإنما يفيدون الناس بالعلم، ابتداءً بعليّ زين العابدين إلى أن تصل الإمامة الروحية ذروتها عند الإمام السادس، جعفر الصادق.

ولكن النفوس قد أصيبت بخيبة أمل كبيرة، بقيام الدولة العباسية واغتصابها الأمر من العلويين، وقد تنفس الشيعة الصعداء وهم يشهدون الدولة الأموية تتهاوى تحت معاولّ العلويين، وحلفائهم العباسيين مترقبين ساعة الخلاص، إذ بالآمال تستحيل سراباً، وحلاوة الإنتصار تنقلب غصّةً ومرارة، بعد أن غدر الحلفاء واغتصبوا البيعة لأنفسهم، وانقلبوا على أصحاب الحق يعملون فيهم قتلاً وتشريداً حتى جعل شاعرهم يقول:

يا ليت جور بني مروان عاد لنا يا ليت عدل بني العباس في النار

كان التشيع الإمامي، أمام أزمة مستحكمة، بعد نفاد الصبر وضياع الأمل وزيادة الكرب، ولكنهم ظلّوا على وحدتهم وذلك بفضل شخصية الإمام الصادق، منذ قيام الدولة العباسية عام 132هـ إلى وفاته 148هـ.

لقد أصبحت الإيديولوجية الإمامية القائمة على التقيَّة أمام إمتحان رهيب، وخاصة أنها واجهتها أيدولوجية غريبة من العباسيين: وهي حقهم المقدس الإلهي، بموجب وصيّة مزعومة من محمد بن هاشم بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

خلاصة القول: التشيع حزب معارض، اختلفت وجهات نظر فِرَقِهِ في أسلوب المعارضة على أنحاء ثلاثة:

الزيدية: وقد تبنّت مبدأ الإمامة السياسية، وجعلت «الخروج» مبدءاً أساسياً لآرائها، إنها المعارضة المتمثلة بالسيف.

الإثنا عشرية: وقد تبنّت مبدأ، الإمامة الروحية والتقيَّة مبدءاً أساسياً لمعتقداتها، وهي متمثلة في سلاح الكلمة.

الإسماعيلية: وقد تبنّت مبدأ الإمامة الباطنية القائمة على القول: لكل ظاهر باطن، هادفةً إلى إخفاء مقاصدها، وهي المعارضة المتمثلة في سلاح «الحركات السرية».

كانت الزيدية أكثرها علانية وصراحة، بينما كانت الإثنا عشرية أكثرها

توجساً وارتياباً في المخالفين، وكانت الإسماعيلية أكثرها غمُوضاً.

كانت الزيدية بحكم العلانية أكثرها انفتاحاً على سائر الفرق وبخاصة أهل السنَّة، بينما كانت الإثنا عشرية بحكم «التقية» أكثرها انغلاقاً وتوجساً في المخالفين، أما الإسماعيلية فقد كانت أكثرها سعياً لجذب المخالفين إلى الحركة السريَّة لتقويض الدولة العباسية.

الباب الثاني

الفصل الأول
الإمام زيد وتابعوه

الإمام زيد ٨٠هـ ــ ١٢٢هـ

«إني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه وإحياء السنن، وإماتة البدع فإن تسمعوا يكن خيراً، لكم ولي وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل».

لما ولد أخذ أبوه زين العابدين، المصحف وفتحهُ، ونظر فيه فخرج أوّل سطر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم. . . .﴾ فأطبقه وفتحه ثانية فخرج: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ. . .﴾ فأطبقه وقال: «**عُزِّيت عن هذا المولود، وإنه لمن الشهداء**».

لمّا قُتل زيد كان في الثانية والأربعين من العمر عام 122هـ.

ولد من أم سندية، أخذ علوم الدين عن أبيه زين العابدين ثم أخيه محمد الباقر، ثم ذهب إلى البصرة، حيث التقى بواصل بن عطاء، فكان لقاء مؤسسي الفرقتين مظهراً لالتقاء الزيدية بالمعتزلة منذ البدء.

خرج الحسين إنكاراً لولاية العهد، ووراثة الملك، واستنكاراً لما عُرف عن يزيد من سوء السيرة والإنحراف عن الدين، وخرج زيداً إنكاراً لاتخاذ وراثة الملك سنَّةً في الحكم، واستنكاراً لسيرة من عرف بالتجبر في الأرض والفسق والفجور (هشام بن عبد الملك) وأبى الحسين أن يبايع ليزيد، لأن البيعة حجة على آل البيت في قبول الغلبة في مبدأ الحكم.

ولم يكن الحسين غافلاً، عن أن النصر بعيد المنال، وكذلك كان زيد، زار الحسين جدَّهُ قائلاً: لقد وجدت وراء هذه الحُجب، ما تاقت إليه نفسي منذ زمن طويل، وحان موعد الخلاص، وقد غسلت يدي من الحياة وعزمتُ على تنفيذ إرادة الله.

ليست الهزيمة، تقاس بالنتائج الآنيَّة إن التاريخ لم يعرف هزيمة، أثارت نفوساً، ودكَّت عروشاً، وأزالت دولاً، وأقامت دولاً، كهزيمة الحسين ومقتله في كربلاء، بل إنها حربٌ انتصر فيها المهزوم، وانهزم فيها المنتصر، لأن الدم المسفوك قد أثار حركات متتالية ضد الدولة الأُموية، لم تأت عليها فحسب، بل إن يزيد بعد موته لم يبق له أنصار ولا أتباع بينما بقي للحسين، بعد مقتله شيعة، لا تفتر نفوسهم الموالاة ولا الحزن على ذلك اليوم المشؤوم بالرغم من توالي السنين والقرون.

وهُزِم زيد، وليس لهشام بن عبد الملك من يواليه، بينما بقيت الزيدية، مذهباً دينياً لجمهور غفير من المسلمين. وهكذا انتصرت المباديء وهُزم الطغاة.

وإلا كيف نفسِّر التنكيل بالجثث بعد القتل، ونبش القبور، إذا لم يكن اعترافاً من الطغاة بخلود الشهداء، لم يكفهم القتل، وإنما تتبعوا الجثث بالتنكيل والصلب ثم الإحراق، وذرّ الرّماد في الأنهار ظانين بغبائهم، أن يجتنبوا جذور الموالاة.

كان زيد غاية في الفصاحة والبلاغة والبراعة، حتى شُبّه بالإمام عليّ، وكان في نفس الوقت، زاهداً، شجاعاً، مقداماً، لا يتردد في ما يؤمن به.

آراؤه السياسية:

١ ـ الخروج:

كل فاطمي شجاع، عالم زاهد سخيّ لم يخرج ثائراً على الظلم لا يكون إماماً ومهدياً.

واشترط زيد في الإمام أن يكون فاطمياً، حسنياً أم حسينياً فخالف الإمامية، في ذلك لأن الأئمة عندهم من نسل الحسين، ولكن زيد أثار التساؤل حول إمامة زين العابدين.

قال محمد الباقر لأخيه زيد: «**بمقتضى قضيتك والدك ليس بإمام، فإنه لم يخرج قط ولا تعرَّض للخروج**».

ولا تتيسر المصادر إلى ردّ زيد.

٢ ـ جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل:

جادله من بايعوه، من أهل الكوفة والبصرة وواسط وما حولها بصدد رأيه في الشيخين فأبى أن يذكرهما إلا بخير.

كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة ارتأوها، ولكن إذا جازت إمامة المفضول، مع وجود الأفضل لتبرير شرعية خلافة أبي بكر مع أفضلية عليّ، فإن على الإمام المفضول، أن يرجع إلى الأفضل في الأحكام، وعليه أن يحكم بحكمه في القضايا[1].

٣ ـ جواز خروج إمامين في قطرين متباعدين، يستجمعون شروط الإمامة

آراء متقاربة مع المعتزلة:

1 ـ المنزلة بين المنزلتين: فاعل الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر، لا يسمى مؤمناً، ولا يسمى كافراً، ولكن يسمى فاسقاً، كذلك لا يعد منافقاً، لأن المنافقين كافرون.

---

(1) إمامة المفضول لدى الزيدية ليست قاعدة عامة، الزيدية بعد زيد يقولون بوجوب إمامة الأفضل، ولا يقول ذلك إلا أهل السنة تبريراً للحكم على الغلبة، حتى أجازوا أن يكون الإمام غير مجتهد.

٢ ــ حرية إرادة الإنسان:

يذكر أحمد بن يحيى بن المرتضى، أن مذهب الجبر قد حدث في دولة معاوية، وملوك بني مروان، وأن ابن عباس قد كتب إلى المجبرة، بأنهم أعوان الظالمين الذين يحمّلون إجرامهم على الله، وينسبون شر فعالهم إليه.

كانت الدولة الأموية، تذيع في الناس، أن وصولهم إلى الحكم، لقضاء من الله قد قُدّر ولا حيلة للناس في دفعه، وادعى معاوية أنه احتكم هو وعليّ إلى الله فنصره الله على عليّ، وادعى خلفاؤه وولاته، أن من قتلوهم من الأئمة والمعارضين، إنما قتلهم الله.

وكان الإمام زيد ومن معه يتبنّون مبدأ حرية الإنسان، وأن أفعاله تتعلق بارادته، وهو من يتحمل مسؤولية أفعاله. وكذلك كان يؤمن أتباع المعتزلة، بأن الإنسان هو من يتحمل مسؤولية أفعاله، وكان واصل بن عطاء المعتزلي، قد تتلمذ على أبي هاشم، وأبوه محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب الذي كان يقول: «**التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتهمه**».

آراء متعارضة مع الإمامية:

1 ـ إنكار القول بالبداء: يقصد بالبداء، الظهور بعد الخفاء وهو اعتقاد عند الشيعة الإمامية، منزلة في التكوين كمنزلة النسخ في التشريع، ذلك أن القضاء على نوعين، مبرم ومعلَّق.

٢ ــ إنكار التقيَّة

كذلك قالت الإمامية بالتقيَّة، إذ بايع عليّ زين العابدين، الخليفة يزيد تقيَّة.

٣ ــ إنكار العصمة والعلم اللدني

الإمامية يقولون إن الإمام يجب أن يكون معصوماً، لأنه إن أخطأ من يردّه،

وهو المرجع في الأحكام وإنّ عِلمه هو لدُنيّ من عِلم الله، وإلهام أما الزيدية فيقولون أن العصمة هي لأهل الكساء فقط وهم: النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

آثاره في الفقه والحديث:

تنسب إلى الإمام زيد عدة مؤلفات، منها: كتاب تفسير الغريب وكتاب الحقوق، وكتاب المجموع في الحديث، وكتاب المجموع في الفقه وهذان الكتابان الأخيران عمادا الحديث والفقه لدى الزيدية.

الفصل الثاني

أئمة جهاد واستشهاد

(سيد الشهداء حمزة ثم رجل قام إلى إمام جائر فنهاه فقتله)

(حديث شريف)

يحيى بن زيد: وهو الابن الأكبر للإمام زيد، أمه حفيدة محمد بن الحنفية، بن علي بن أبي طالب.

حارب مع أبوه، ووضعه على حجره حين أصيب، أوصاه أبوه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة:

يا بني جاهدهم فوالله إنك لعلى الحق، وإنهم لعلى الباطل وإن قتلاي لفي الجنة وأن قتلاهم لفي النار.

آل على نفسه أن يتمم رسالة أبيه، حتى يلحق به فلم يتزوج، خرج إلى الكوفة، وهو يكظم غيظه ويحبس أحزانه.

توجه بعد ذلك إلى خراسان، إذ قيل له: قُتل أبوك، وأهل خراسان لكم شيعة فالرأي أن تخرج إليها.

أحسَّ بتحركه وإلى العراق (يوسف بن عمر) فاستدعاه، ولكنه ترك المدائن إلى الري ثم منها إلى سرخس، وهناك قام داعياً إلى نفسه، متابعاً دعوة أبيه ونشرها عام 120هـ، فالتف حوله أهل خراسان، ولما بلغت دعوته أسماع هشام بن عبد الملك، عزل واليها لضعفه، وعين (نصر بن يسار) الذي اهتم بأمر (يحيى) وتقصّى أخباره.

فذهب يحيى إلى بلخ، فأرسل نصر إلى عامل بلخ يطلبه، ولكن أخفاه (المريش بن المريش) الذي تحمَّل ضرب الوالي له بالسياط، دون أن يدلّ عليه، قائلاً: والله لو كان تحت قدمي هاتين، لما دللتكم عليه، ولكن بعد التعذيب، وقد هدده الوالي بقتل أبيه، اعترف المريش بمكانه.

فأخذ يحيى وقُيِّد بالسلاسل وحبسوه، فلما توفي هشام بن عبد الملك، وتولى بعده الوليد بن يزيد كتب إلى نصر بن يسار بإخلاء سبيله، خوف الفتنة، فأطلقه وأرسله إلى مكان بعيد، ومع ذلك قدم إليه الشيعة وبايعوه، وخرجوا إلى نيسابور.

أُبلغ عاملها، نصر بن يسار، الذي جمع جيشاً إلى نيسابور، تبلغ عدته عشرة آلاف، ولم يكن مع يحيى غير مائة وعشرين رجلاً، فاقتتل الجيشان قتالاً عنيفاً، حتى هزم الجيش الأموي، وتقدم يحيى وأنصاره تجاه بلخ.

أرسل نصر جيشاً آخر، واستمر القتال ثلاثة أيام، إنسحب بعدها يحيى وجماعة من أتباعه، إلى إحدى مدن الجوزان، يقال لها «أرغوي» ولكنه حوصر فيها، واقتتل الجيشان حتى أتت يحيى، نشابة في جبهته، مات على أثرها وكان ذلك عام 125هـ، واحتُزَّ رأسه وبُعِث بها إلى الوليد، أما الجسم فقد بقي مصلوباً على باب الجوزان، حتى قام أبو مسلم الخراساني، الذي أنزل يحيى عن خشبته، وكفَّنه وصلَّى عليه ودفنه، وقتل كل من أسهم في قتل يحيى، فقد تكررت المأساة التي حصلت لزيد.

أظهر أهل خراسان، النياحة عليه سبعة أيام، ولم يولد لهم ولد، إلا سُمّي يحيى أو زيد، ولبسوا السواد، حتى صارت لهم زيّاً ولحركتهم راية.

وانتشرت بعد مقتله الدعوة العلوية، فكانت خراسان مركز الانقضاض على الدولة الأموية.

محمد النفس الزكية

هو محمد بن عبد الله بن الحسن، بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

ولد بالمدينة المنورة عام 100هـ، أخذ العلم عن أبيه، كما أرسله أبوه مع أخيه إلى ابن طاووس المحدّث قائلاً له: حدِّثهما لعل الله يريد أن ينفع بهما.

كان خطيباً زاهداً ورعاً، اشترك مع الإمام زيد في حركته عام 122هـ، أُشيع أنه المهدي الذي بشرّ به النبي: (لو بقي من الدنيا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يُبعثَ فيه مهدِّيُنا وقائمنا إسمه كأسمي واسم أبيه كاسم أبي).

اضطربت أحوال الدولة الأموي، بعد مقتل الوليد بن يزيد عام 126هـ، وبان في الأفق أفول نجمها، فاجتمع نفر من بني هاشم في (الابواء) على طريق مكّة، فيهم إبراهيم الإمام والسفاح، والمنصور وصالح بن عبد الله بن الحسن، وابناه محمد وإبراهيم، فخطب عبد الله بن الحسن قائلاً:

«إنكم ترون كتاب الله معطَّلاً وسنة نبيه متروكة، والباطل حياً، والحق ميتاً، قاتلوا في سبيل الله، قبل أن ينزع عنكم اسمكم، وتهونوا عليه كما هانت بني إسرائيل، بعد أن كانوا أحب خلقه إليه، وقد علمتم أننا لم نزل نسمع أن هؤلاء إذا قتل بعضهم بعضاً[1] خرج الأمر من أيديهم وقد قتلوا صاحبهم الوليد بن يزيد، فهلمّ نبايع محمداً ولقد علمتم أنه المهدي.

فاتفق الجميع على بيعة محمد بن عبد الله (النفس الزكية) الطالبيين والعباسيين على السواء، وعلى رأسهم المنصور والسفاح.

---

(1) قتل زيد بن الوليد ابن عمه الخليفة الوليد بن يزيد.

والاتفاق على محمد بن عبد الله، كان مُجمعاً عليه بين أهل الرأي والعلماء والمتكلمين، وقد قصد جماعة من المعتزلة برئاسة واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وحفص بن سالم، إلى جعفر الصادق، فقال عمرو بن عبيد+ قتل أهل الشام خليفتهم، وتشتت أمرهم، فنظرنا فوجدنا رجلاً له دين وعقل ومروءة، هو محمد بن عبد الله بن الحسن، فأردنا أن نجتمع معه ونبايعه، ثم نظهر أمرنا، فمن بايع كان معنا، ومن لم يبايع، كففنا عنه، ومن حاربنا حربناه.

وقد فوَّض يحيى بن زيد، قبل مقتله الأمر من بعده إلى محمد بن عبد الله بن الحسن.

والواقع أنه حتى الأيام الأخيرة من الدولة الأموية، لم تظهر دعوة ما باسم العباسيين في البلدان التي انطلقت منها الانتفاضة على الأمويين، وإنما كانت الرايات السود في خراسان حداداً على مقتل يحيى بن زيد، وذلك أمر طبيعي ليس لأن العلويين من سلالة النبي فحسب، بل لأنهم هم وحدهم الذين تحمّلوا عبء الجهاد، ومآسي الإستشهاد وشدة الإضطهاد.

وإذ بحلفاء الأمس، يغتصبون الأمر دون سندٍ شرعي، لا مبرر ديني، وإنما المطامع الدنيوية ليس غير، وفي سبيل ذلك أسرف العباسيون في القتل على نحو لم يرتكب مثله الأمويون، بدعوى غرس المهابة في نفوس الناس، وخاصة لآل البيت وحلفاءهم.

وإذا كان الخروج على الأمويين، سببه الجور، وعدم الاعتراف بالغلبة كأساس للحكم، فإن العباسيين قد أضافوا إلى ذلك كله، الغصب وخيانة العهد، حتى أن أكبر فقيهين لأهل السنّة (أبو حنيفة ومالك) لم يجدا مناصاً من نصرة محمد بن عبد الله، والفتوى بالحلِّ من بيعة المنصور العباسي إذ ليس على مستكرهٍ يمين.

واتبعوا ذلك كلّهُ، بمطاردة صاحب الحق، حتى استخفى لا يستقر له مكان، مع أخيه إبراهيم، وسجن أبوه عبد الله مع اثني عشر من أقاربه، لأنه لم يعترف بمكانهما.

وقد قال محمد بن عبد الله معبّراً عن جور العباسيين:

يا ليت جور بني مروان عاد لنا يا ليت عدل بني العباس في النار

كل هذا الظلم والإفساد والغدر من العباسيين، اتيحت رغم ذلك لأنصار محمد بن عبد الله، فرصة اغتيال المنصور في مكَّة، وكان أهلها شيعة لمحمد بن عبد الله، ولكنه رفض وقال: والله لا أقتله غيلةً.

وعندما علم أبو جعفر المنصور، بمبايعة معظم الأقطار لمحمد بن عبد الله، لجأ إلى حيلة، وهي إرسال رأس أحد السجناء مع عدد من أعوانه إلى خراسان، وحلفوا للناس أن هذا الرأس لمحمد بن عبد الله بن الحسن، ليثبّطهم على الخروج.

كان محمد بن عبد الله، قد استولى على المدينة[1]، وعزل واليها وسجنه، وخطب في أهلها وقال لهم:

يا أيها الناس، إن هذا الطاغية عدو الله، قد أحلَّ حرام الله وحرَّم حلاله، وأنتم أهل شدة وقوة، وقد بايعني جميع الأقطار. أيها الناس لقد أخفى عليكم هذا الطاغية، أبو جعفر، أمر بنائه (القبة الخضراء) وهي تصغير للكعبة، وإنما أخذ الله فرعون، وقد قال: أنا ربكم الأعلى، وإن أحق الناس بالقيام بهذا الدين، هم أبناء المهاجرين والأنصار، وأنتم عندي أهل قوة، ولقد اخترتكم لنفسي.

عندما وصل الخبر إلى المنصور، أرسل إلى محمد بن عبد الله وعرض عليه الأمان، ولمن حوله من أبناء وإخوة وأنصار، ولكن محمد وهو صاحب الحق، قال للمنصور:

إنك أعطيتني الأمان والعهد ما أعطيته رجالاً قبلي، فأي الأمان تعطني، أمان ابن هبيرة، أم أمان عمك عبد الله أم أمان أبي مسلم الخراساني.

---

(1) لم يتخلف إلا الإمام جعفر الصادق وكان مجتمعاً معهم عقب مصرح الوليد، وقد قال لعبد الله بن الحسن: إن ابنك هذا لن ينالها، وضرب على منكبي المنصور، وإنما يتلاعب بها الصبيان من ولد هذا، ولعل الصادق علم بأن لله حكمة في إبعاد الخلافة عن آل النبي.

وقرن أبو جعفر، وعده بوعيده وقال: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ إلى آخر الآية.

ويستند هذا الوعيد، على مبدأ غريب ابتدعه العباسيون، لأول مرّه في تاريخ الإسلام.

كان الأمويون يزعمون أن وصولهم إلى الحكم بقضاء الله وقدره، ولكن العباسيين، قد جعلوا من أنفسهم خلفاء الله في ارضه، وأقحموا لأول مرَّة في الفكر السياسي الإسلامي، مبدأ التفويض الإلهي وذلك بعد أن أعيتهم الحيل، في إيجاد مبدأ شرعي يبررون به الغصب، فمعارض الخليفة والخارج عليه، هو من الذين يحاربون الله ورسوله.

ولكن محمد بن عبد الله، رفض أمان المنصور، وقد اختار المنصور ولي عهده عيسى بن موسى، لمحاربة محمد بن عبد الله، وكان يقول: لا أبالي أيهما قتل صاحبه، وكان يتمنى هلاك عيسى بن موسى ليحلَّ ولده المهدي محلَّه، في ولاية العهد.

خندق محمد بن عبد الله حول المدينة تشبيهاً برسول الله، ووقف عيسى بن موسى، عند مدخل المدينة منادياً: يا أهل المدينة، إن دماءكم علينا حرام، فمن جاءنا فوقف تحت رايتنا فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ولكن أهل المدينة أخذو يلعنونه، ولكن حفر الخندق لم يكن لصالح محمد، إذ حوصر في المدينة وانقطعت المؤونة عنه، وأصاب أهلها الجوع، فلما أحس الهزيمة بعد قتال مرير قال لأنصاره: إني جعلتكم في حلٍّ من بيعتي ونصرتي، فتسلل كثير منهم وانسحبوا، ولم يصمد إلا القليل.

رجع محمد إلى منزله، وأخرج صندوقاً فيه أسماء أتباعه فأحرقها بين خاصته، وكان العباسيون قد ساوموه عليها مقابل ضمان حياته، فآثر شيعته على نفسه وضحى بنفسه من أجلهم، من أجل ذلك سمّي (النفس الزكية)، وعاد إلى الحرب بعد أن حرق الأوراق وهو ينشد:

لا عار في الغلب على الغلاب والليث لا يخشى من الذئاب

وبعث الأمل في نفوس أنصاره في اللحظات الأخيرة، وقد خلع أهل الشام والعراق وخراسان السواد (زي العباسيين) ولبسوا البياض (زي الزيدية).

وقتل محمد واجتزت رأسه في شهر رمضان 145هـ، وبعثت إلى المنصور، ثم طيف بالرأس في الأقاليم ودفن الجسد بالبقيع. وتتبع عيسى بن موسى، أنصار محمد فقتلهم، غير أن إخوته وأبنائه تفرقوا في البلدان.

وهكذا كان مآل ذرية النبي بين قتل وتشريد، وكأن انتسابهم إلى الرسول، وِزرٌ يستحقون عليه القصاص، أو كما يقول زين العابدين:

وما خُصصنا به من الشرف الطائل في الأنام آفتُنا

لم ييأس القوم، بمقتل زيد، وابنه يحيى، ثم محمد النفس الزكيّة بل توالت الحركات، وتوالى القتل.

حركة إبراهيم بن عبد الله بالبصرة:

كان إبراهيم قد بايع أخاه محمد النفس الزكيّة بالمدينة، وكان هو مستتراً بالبصرة، وكان قد أبلغ أخيه محمد بالخروج، وقد استجاب له عدد كبير من الناس، ممن كانوا يكرهون المنصور بسبب غدره وإسرافه في القتل، وقد استولى إبراهيم على البصرة وعلى الأهواز، ودانت له فارس دون مقاومة تُذكر، ثم اتجه إلى الكوفة حيث كان المنصور.

فاستنجد المنصور بولي عهده عيسى بن موسى وبابنه المهدي وجرت المعركة بين الزيدية، بقيادة إبراهيم وبين العباسيين ولكن إبراهيم أصيب بسهم برأسه فمات، وقضى عيسى بن موسى على أتباع إبراهيم، وحُزَّت رأسه وحُمل إلى المنصور.

كان ذلك في ذي القعدة عام 145هـ، وكان عمر إبراهيم اثنين وأربعين عاماً، وقد دعا المنصور الناس ليشاهدوه تشفياً وحقداً، ثم حُمل الرأس إلى أبيه عبد الله وهو في السجن.

عيسى بن زيد[1]

كان عيسى قد استبسل في المعركة التي جرت بين أخيه إبراهيم والعباسيين، وكان حامل راية الجيش، ولكن بعد أن أصيب إبراهيم وقتل، وانتهت المعركة توارى إلى أن مات.

سكتت الزيدية في عهد المهدي ابن المنصور، لأنه أحسن إليهم وأخرج من كان منهم في السجون، واستوزر أحد رجالهم وتقرَّب إلى أحمد بن عيسى وأخيه زيد.

الحسين بن علي (الفخّي):

هو الحسين بن علي بن الحسن (المثلث) أي الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ويلقب بالفخيّ، لأنه قتل (بفخ) بين مكة والمدينة.

وكان قد استأنف الخليفة (موسى الهادي) سياسة البطش والتنكيل بالزيدية، إذ طلب إلى ولاته ملاحقتهم، وأسرف في الإساءة إلى آل البيت وطالبهم بالعرض عليه يومياً خشية خروج أحدهم.

اجتمع الحسين بن علي، مع أقربائه، منهم إدريس ويحيى أخوا محمد النفس الزكية، واعتلى مسجد رسول الله وقال: (أنا ابن رسول الله وعلى منبر نبي الله، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإن لم أفِ لكم بذلك فلا بيعة لي في أعناقكم).

اتجه إلى مكة للاستيلاء عليها، ولكن لحق به جيش كثيف من العباسيين عند (فخ) ودامت معركة هزم فيها وقتل، وحُمل رأسه إلى الخليفة الهادي الذي قال: كأنكم قد جئتم برأس طاغوت من الطواغيت، إن أقل ما أجزيكم به هو حرمانكم[2]، ويبدو في قوله أنه أسِفَ على قتله، ولكنه قتل الأسرى من أتباعه وصلبهم بباب الجسر ببغداد، وكانت تلك الحلقة من المأساة في عام 169هـ.

---

(1) سمي ميتِّم الأشبال لأنه قتل لبؤةً بعد أن وضعت أشبالاً.
(2) هكذا حمّل الخلفاء العباسيون، وزر اتباعهم ثم جازوهم بالحرمان.

تفرَّق اتباع الحسين الفخي، تاركين الحجاز، ففر إدريس بن عبد الله إلى المغرب، وفرَّ أخوه يحيى إلى بلاد الديلم.

يحيى بن عبد الله:

بعد هزيمة الحسين بن علي (الفخّي) هرب يحيى إلى تركستان عام 176هـ فلقيه ملكها (خاقان) فأحسن استقباله، وأسلم على يديه، وكان معه الحسين بن صالح، صاحب فرقة الصالحية من الزيدية، ولقد بايع يحيى عدد كبير من العلماء والفقهاء، منهم سليمان بن جرير صاحب فرقة (السليمانية).

أرسل الرشيد إليه الفضل بن يحيى الذي احتال، حتى تسلم يحيى دون قتال، أرسل يحيى إلى بغداد، حيث أحسن الرشيد استقباله ثم حبسه ثم أطلق سراحه، وكان يحيى مشهوراً بالعلم، أرسله إلى الحبس في سرداب، وظل يحيى على هذه الحال حتى مات في محبسه، قيل أنه منع من الطعام، وقيل أنه قتل بعد شهرين من محبسه.

ابن طباطبا:

هو محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان في الحجاز، ثم انتقل إلى الكوفة زمن صراع المأمون مع الأمين، ولما مال المأمون إلى الفرس، واتخذ منهم وزراء وقواد.

خرج عليه بعض قواده من العرب منهم السري بن المنصور، ويعرف بأبي السرايا، الذي انحاز إلى العلويين وبايع ابن طباطبا، كذلك بايعه من آل بيته، محمد بن محمد بن زيد، ومحمد بن جعفر الصادق، واستطاع ابن طباطبا ومعه أبو السرايا، الاستيلاء على الكوفة ثم واسط فالبصرة، فلما بلغ العلويون في مكة والمدينة واليمن ذلك، دعا إلى بيعته في المدينة، محمد بن سليمان (بن داوود بن الحسن بن الحسن) وبمكة محمد بن جعفر الديباج، وبمصر ا لقاسم بن إبراهيم الرسي (أخو ابن طباطبا) وباليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر، وهكذا كانت حركة ابن طباطبا، من أوسع الحركات الزيدية إنتشاراً، بفضل كثرة دعاتها من آل البيت.

التقى ابن طباطبا وأبو السرايا بجيش العباسيين عام 199هـ قرب الكوفة حيث انتصرا، ولكن ابن طباطبا، مات فجأة أثناء الحرب فبويع بعده محمد بن محمد بن زيد.

محمد بن محمد بن زيد:

كان صغير السن حين بويع بالإمامة، ومن ثم كانت قيادة الجيش لأبي السرايا، وقد اشتهر محمد برغم صغر سنه، بالعلم والفصاحة، وقد تمكنا من هزيمة الكثير من الجيوش التي كان يرسلها العباسيون ولكنهم هزموا أخيراً في عام 200هـ، بعد أن اجتمعت عليهم جيوش كثيفة من العباسيين، هربا إلى خرسان، حيث قبض عليهما، وقتل أبو السرايا، وقُطع نصفين صلب كل قسم على أحد جسري بغداد، أما محمد فحمل إلى المأمون في خراسان واعتقل مدة لا تتجاوز أربعين يوماً، مات بعدها مسموماً، وعمره لا يتجاوز عشرين عاماً وذلك عام 202هـ.

تعقيب

بعد هذه السلسلة المتصلة من المآسي، لا بد أن يثار التساؤل عن جدوى الخروج.

وبالرغم من صدق بصيرة الإمام جعفر الصادق، في أن لله حكمة خفيَّة، في حرمان آل البيت من الخلافة، مع العلم إن أئمتهم جميعاً قد ماتوا مقتولين أو مسمومين.

الفصل الثالث

فرق الزيدية:

يمثل التشيع الزيدي، وسطاً بين أهل السنة، وبين الشيعة الإمامية.

إن فرقاً زيدية نشأت متفاوتة فيما بينها في ميلها لهذا الطرف أو ذاك، ولكن الذي يجمعها، القول بأفضلية عليّ وإمامته، ثم إمامة الحسن والحسين والقول بالخروج ضد الظالمين.

فرق اميل إلى أهل السنة:

١ ـ **الصالحية**: ويتبعون صالح الهمذاني، وكان ناسكاً عابداً فقيهاً له كتب مختلفة منها كتاب التوحيد، وكتاب إمامة ولد علي من فاطمة.

٢ ـ **السليمانية**: أتباع سليمان بن جرير الرقي، كان تابعاً لجعفر الصادق، ثم انفصل عنه، ثم لحق بالصالحية فوافقها في أشياء، واختلف عنها في أشياء.

فرقة تدين ببعض آراء الإثنا عشرية:

الجارودية: أصحاب أبي الجارود، وهو زياد الهمذاني، كان من أتباع محمد الباقر، ثم ابنه جعفر الصادق، وقد التحق بالزيدية، وكان قد حارب مع زيد، وهو كفيف.

الباب الثالث

الفصل الأول

دعاة خروج، وبناة دول

إدريس بن عبد الله، ودولة الأدارسة في المغرب.

كان لعبد الله ستة ابناء: محمد وإبراهيم وعيسى وإدريس وسليمان ويحيى، أما محمد بن عبد الله (النفس الزكية) فقد خرج بالحجاز وقتل، ولحقه إبراهيم بالبصرة، وفرّ يحيى إلى الديلم وقد أعطي له الأمان، إلى أن حبسه الرشيد ومات، وفرّ إدريس إلى المغرب، ولحق به أخوه سليمان، في طريقه إلى المغرب، أواه والي مصر ونقله وبعث معه مولاه راشد ليحميه، حتى وصل إلى مدينة (وليله) فأكرمه إسحق من عبد الله والي المغرب وذلك عام 172هـ.

أعلن إدريس دعوته، فاستجاب له البربر، واستولى على المغرب الأقصى، وامتلك مدينة (تلمسان).

ولما بلغ خبره الرشيد أحس بعجزه عن محاربته لبعد المسافة، فأرسل إليه رجلاً ادعى الطب، وتقرَّب منه وادعى أنه من شيعة أبيه، حتى أنِسَ إليه، وشكا علَّةً فأعطاه قارورة من مادة مسمومة، فمات عام 175هـ.

قام بأمر البربر مولاه راشد، وقد وضعوا التاج على بطن جارية بربرية لإدريس وهي حامل، فولدت له غلاماً سمّوه إدريس تخليداً لاسمه، ولأنه كان شبهه، فقالت البربر هذا إدريس كأنه لم يمت.

تتضمن خُطب إدريس الأول آراء الزيدية في الإمامة وأهمها:

1 ـ تنزيه الله عن التشبيه، وتنزيهه عن الظلم.

2 ـ الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله والعدل في الرعية. وإحياء السنّة وإماته البدع.

3 ـ الخروج على الحكام الظالمين.

4 ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5 ـ الدعوة إلى نفسه، بوصفه من آل بيت النبي وذرية عليّ ومن ولد فاطمة والحسن والحسين.

إدريس الثاني:

تولى راشد تعليمه حتى صار حاكماً عام 187هـ، بإجماع قبائل البربر بمراكش، وقد أطلقوا عليه، مولاي إدريس وعدّوه من أعظم أولياء الله، وذلك لأنه سليل النبوة والبربر معاً.

أخذت الهجرات العربية، تنثال على مراكش من إفريقيا والأندلس فقرّر إدريس الثاني تأسيس عاصمة له، وأنشأ مدينة (فاس) عام 192هـ حيث سكن البربر المنطقة الشرقية، والعرب المنطقة الغربية، وأصبحت هذه المدينة، أكبر مراكز الإسلام، علمياً ودينياً وتجارياً وصناعياً.

قام إدريس الثاني بحملات عسكرية في جبال أطلس، وظل بعدها يتنقل من فاس، وتلمسان، ووليله، إلى أن مات مسموماً عام 213هـ في ظروف غامضة.

ترك إثني عشر ولداً، وليّ منهم محمد بن إدريس الثاني، فوزع البلاد على اخوته بأمر جدته البربرية (كنزه) ولكن الخلاف نشأ بين الإخوة، ولم تستقر بعدها دولة الأدارسة، بسبب منازعة الخوارج لهم، برئاسة عبد الرزاق الخارجي الصفري، إلى أن انتهت عام 323هـ.

الفصل الثاني

القاسم الرسي (١٦٩ ــ ٢٤٦هـ).

هو القاسم بن إبراهيم، بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسن ابن علي بن أبي طالب، ولد بالمدينة عام 170هـ أخذ العلم عن آبائه، وعن (محمد بن منصور المرادي) الذي جمع علوم آل البيت في كتابه (الوافي) مع أنه لم يكن من أهل البيت، وكان أكبر علماء المذهب الزيدي في الفقهِ والأصول. توفي سنة 246هـ.

له مؤلفات كثيرة (الدليل الكبير في الرد على الفلاسفة)، (العدل والتوحيد)، (الرد على المجبرة)، (كتاب المسترشد)، (تأويل العرش والكرسي في الرد على المشبهة)، (الأساس في علم الكلام)، (التصانيف العجيبة) وله كتاب (سياسة النفس).

لما توفي ابن طباطبا، دعا لنفسه، فأجابه خلق كثير، ولما توفي المأمون عزم القاسم على الخروج، ولكن المعتصم أرسل إليه (عبد الله بن طاهر) على رأس جيش يتتبع أثره، فبقي متخفيّاً ثم عاد إلى مسقط رأسه، في بلدة الرس، قرب المدينة المنورة وتوفي هناك عام 246هـ.

آراؤه الكلامية:

1 ـ في أن حجج الله على العباد ثلاثة: العقل والكتاب والرسول.

خلق الله جميع عباده مكلفين لعبادته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 56].

والعبادة على ثلاثة وجوه: الأول: معرفة الله.

والثاني: معرفة ما يرضيه وما يسخطه.

والثالث: اتباع ما يرضيه واجتناب ما يسخطه؟

وقد احتج الله على العباد بثلاث حجج: العقل والكتاب والرسول، بواسطة العقل يُعرف المعبود، وبواسطة القرآن تتم معرفة العبادة، وبواسطة الرسول، تعرف كيفية العبادة.

ويأتي الإجماع حجَّة رابعة.

الإمامة: يقول القاسم الرسي:

الإمامة بعد النبي لعلي بن أبي طالب، ثم لابنه الحسن، ثم للحسين، ثم بعد الحسن والحسين، لمن دعا إلى طاعة الله، وكان جامعاً لخصال الإمامة.

يحيى بن الحسين (الهادي إلى الحق)
٢٤٥ ــ ٢٩٨هـ

دولة الزيدية الهادوية في اليمن

هو يحيى بن الحسين، الملقب بالهادي إلى الحق وهو ابن الحسين بن القاسم ابن إبراهيم ابن إسماعيل ابن إبراهيم ابن الحسن ابن علي بن أبي طالب.

ولد بالمدينة عام 245هـ، أخذ العلم عن أبيه الحسن، وعن عمّيه محمد والحسين.

طلب بعض قبائل اليمن، مقدمَهُ من بلدته الرس، قرب المدينة المنورة.

ذهب إلى نجران وصعدة عام 280هـ ، وقد أعانه أبو العتاهية عبد الله بن بشر (والي صنعاء) مَن قبل العباسيين، ولكن أهل صنعاء خذلوه، لأنه حرَّم عليهم الفساد والمنكرات والزمهم الزكاة، فترك اليمن عائداً إلى الحجاز.

ولكن قبائل اليمن المتصارعة، الحَّت عليه بالعودة، فعاد إلى صعدة 284هـ، ثم إلى نجران.

وقد جرت بينه وبين القرامطة، وداعيتهم (علي بن الفضل) معارك وقد أصيب في إحدى المعارك بجراح، وبعد ذلك توفي الإمام الهادي مسموماً، في 20 ذي الحجة عام 298هـ ودفن في صعدة.

سيرته:

كان الهادي، داعية إلى حكم إسلامي على المذهب الزيدي، وقد حدّد

أصول الدين في التوحيد، والعدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم الخروج مع أئمة آل البيت من ولدي الحسن والحسين.

وقد استطاع الهادي، أن يقضي على العصبية الجاهلية بين القبائل المتصارعة، حتى دانت له الرقاب.

كان يعطي الفقراء والمساكين، من الزكاة التي يجمعها، ويحكم بالعدل بين الناس، ويُلزم نفسه بأشد ما يلزم به ولاته وكان يزور المرضى، ويطعم اليتامى بنفسه، ولا يأكل طعاماً حتى يبدأ بإطعام المساكين.

وكان يقوم بالتفتيش على السجون، ويأمر القارئين من المسجونين أن يعلموا من لا يقرأ، ويتفقد الأسواق، ويقوم بأعمال الحسبة بنفسه، ولم يكن يأخذ من التجار ما يتجاوز الزكاة المفروضة، ويتشدد في تطبيق أحكام الشرع في الخمر والفسوق، ويصلي بالناس جماعة، ويجلس ما بين الصلوات يعظهم ويعلمهم أصول دينهم، وكانوا يتحاكمون إليه في منازاعاتهم.

ولم يكن في الحرب يتتبع هارباً، ولا يجهز على جريح، وإن طلب المهزومون الأمان، أمنهم ورد إليهم أسلابهم. وكان يتشدد على عسكره، أن لا يدخلوا الزرع، ولا يستحلوا لأنفسهم شيئاً من ثمار المزارعين، وحينما اغتصب بعض جنده بعض الثمار، ثار واحتجب عنهم وهمَّ بتركهم وقال: لا يحل لي أن أحارب بمثل هؤلاء، ولا أكون كالمصباح يحرق نفسه ويضيء لغيره، والله ما هي إلا سيرة محمد أو النار، ولم يسكن غضبه، حتى أبدوا ندمهم وتوبتهم عما فعلوا.

مصنّفاته:

للإمام الهادي ٤٩ مؤلفاً منها:

1 ـ الأحكام في الحلال والحرام يشتمل على موضوعات الفقه، وهو مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير تحت رقم (3 فقه).

2 ـ المنتخب.

3 ـ كتاب الفنون في الفقه والفرائض.

4 ـ كتاب المسائل.

5 ـ رسائل العدل والتوحيد، حققها ونشرها محمد عمارة ـ دار الهلال ـ بالقاهرة.

6 ـ مسائل محمد بن سعيد.

7 ـ كتاب القياس.

8 ـ المسترشد، مخطوط بالجامع الكبير تحت رقم (176 مجاميع).

9 ـ الرد على أهل الزيغ.

10 ـ تفسير القرآن في تسعة أجزاء.

11 ـ معاني القرآن في تسعة أجزاء.

12 ـ الفوائد جزءان.

13 ـ مسائل الرازي.

14 ـ مسائل الطبريين.

15 ـ السنَّة.

16 ـ المدرك في الأصول.

17 ـ الديانة في التوحيد، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، مجموع 50 تحت رقم 587.

19 ـ إثبات النبوة والوصية، مخطوط بالجامع الكبير تحت رقم 176 مجاميع.

20 ـ الرد على الإمامية.

آراؤه الكلامية:

1 ـ في التوحيد: إن أول ما يجب على العبد أن يعلم أن الله واحد أحد فرد صمد، ليس له شبيه ولا نظير ولا عديل.

لا تدركه الأبصار في الدنيا ولا في الآخرة، لا تحيط به السموات والأرض، بل هو المحيط بهن، لا تُدركَ ذاته، ولكن دلَّ على نفسه، بخلق سماواته وأرضه، ما بينهما من خلقه، ومن مخلوقاته.

في العدل

أن الله عز وجل عدل في جميع أفعاله، رحيم بعباده، لا يكلّفهم ما لا يطيقون، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 40].

ـــ في الوعد والوعيد:

أن الله صادق الوعد والوعيد في أخباره كلها، لا تبديل لكلمات الله، ولا خلف لوعد الله، من أطاعه أدخله الجنة، ومن عصاه أدخله النار.

ـــ الإيمان برسالة محمد:

أن محمد بن عبد الله، رسوله وخيرته وصفوته من جميع خلقه، خاتم النبيين، لا نبيّ بعده، قد بلَّغ الرسالة وأدّى الأمانة.

في الإمامة: في شروط الإمام:

أن علي بن أبي طالب، أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، ووصي رب العالمين، واحق الناس بمقام رسول الله، وأفضل الخلق بعده، وأعلمهم بما جاء به، فيه يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: 55]، وعليّ مؤت الزكاة وهو راكع دون جميع المسلمين، وفيه يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة: 10 ـ 12] فكان السابق إلى ربه غير مسبوق، وفيه أنزل الله على رسوله في بئر خم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: 67] فوقف رسول الله وقطع سيره،

ولم يتقدم خطوة، حتى ينفذ ما عزم عليه في عليّ. فجمع الناس تحت الدوحة ثم قال: (أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم) قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: (اللهم فاشهد، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله). والناس مجتمعون يسمعون كلام رسول الله، وهو رافع بيد عليّ حتى أُبصر بياض إبطيهما، وفيه قال رسول الله كذلك: (علي مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي) ويقول: (علي مع الحق والحق معه) ويقول: (أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد المدينة فليأت من بابها). وقال: (أنت أخي يا علي في الدنيا والآخرة).

وأن الحسن والحسين ابنا رسول الله، وإنهما إماما عدل واجبة طاعتهما، مفترضة ولايتهما، وفيهما وفي جدهما وأبيهما وأمهما، يقول الله تبارك وتعالى لرسوله إذ أمره بالمباهلة للنصارى:

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: 61] فحضر ﷺ بعليّ وفاطمة والحسن والحسين.

ثم أن الإمامة لا تجوز إلا في ولد الحسن والحسين بتفضيل الله لهما، وفي ذريتهما، يقول الله تعالى:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: 124]. فككانت النبوة والإمامة والوصية في ولد إبراهيم، إلى أن بعث الله محمداً فأفضت النبوة إليه، ثم قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ﴾ [فاطر: 32] فورث الكتاب محمداً وعلياً والحسن والحسين من ذريتهن من الأخيار.

ـــ إن الإمامة ليست بالبيعة والاختيار:

الإمامة لا تثبت برضى المخلوقين وإرادتهم، وإنما من ثَبت الله له الإمامة وجبت على الأمة طاعته، ومن لم يثبت الله له الولاية على المسلمين، كان مأثوماً

معاقباً ومن اتبعه على ذلك من المسلمين، إذ الأمر والاختيار، يرجع إلى الرحمن وليس في ذلك اختيار من أي إنسان، كما قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ﴾ [القصص: 68] وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ﴾ [الأحزاب: 36].

قال الله تعالى:

﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: 35].

الذين اختارهم الله بعلمه، وفضَّلهم على جميع خلقه، وجعلهم الورثة للكتاب المبين، هم أبناء الرسول وأحباؤه، وخلفاء الله وأولياؤه.

يحيى بن الحسين (الهادي إلى الحق)

هو أهم شخصية في المذهب الزيدي لا يفوقه، إلا المؤسس الإمام زيد.

أحاط الهادي، إحاطة كاملة بعلوم الدين، وأخصها الكلام والفقه، إلى جانب المثابرة على الجهاد، دون كلل فكان نموذجاً كاملاً للإمام الزيدي، وقد طبع المذهب الزيدي في اليمن بطابعه، وخاصة بالفقه، فتعرف الزيدية في اليمن باسم (الهادوية) فقد جمع بين الزهد والعمل، يؤمن، ويفعل ما يؤمن به، فهو في الفقه من أكبر فقهاء الزيدية ولكن الإمام الهادي، تجاوز الخطوط الرئيسية للزيدية، مقترباً من الإمامية، فهو ينتقد تولي أبي بكر الخلافة ويُخطّئه في مسألة فدك، بدعوى أنها كانت ملك فاطمة قبل وفاة النبي، الذي كان قد وهبها إياها، ويعتبر أن أبا بكر قد ردَّ الجميل إلى عمر حين عهد إليه بالخلافة من بعده، ويرى أن عليّاً هو وصي النبي، ويرى أن الإمامة لا تثبت بإجماع الأمة، ولا برواية مرويَّة! ولكنها تثبت، لصاحبها من الله والرسول، وبعقدها في رقاب من أوجبها عليهم من جميع خلقه، نفس قول الإمامية في النصف والوصية (كتاب تثبيت الإمامة) ثم الإشارة، إلى ضلال الأمة إذ أخذت العلم من غير الأئمة، الذين أُمروا بطاعتهم، والاقتداء بهم، وقد قتلت الأمة الأولياء من الأئمة المهديين، فبقيت في حيرة عمياء، إلى أن هلكت جميعاً.

على أن أغلب الظن، أن هذه الآراء التي تميل إلى الإمامية لم يرددها الزيدية بعده، وإنما بقيت الأصول التي أرساها الإمام زيد، بصدد قبول آراء المذاهب الأخرى، فقهية وأصولية، فضلاً عن موالاة الشيخين، واعتبار خلافتهما شرعية.

ومن النصوص والمؤلفات لـ(يحيى بن الحسين) نص عن النبوّة والإمامة: (مختصر).

إن تثبيت النبوّة والإمامة، لها علامات:

فهو أفضلهم بالعلم والدين والورع، وإن ما يوجد عند الأوصياء لا يوجد عند غيرهم.

ووصيّ الرسول هو علي بن أبي طالب، لأنه هو الذي عنده علم الكتاب، وعلم ما يكون إلى يوم القيامة، وقد أطلعه على هذا العلم، رسول الله ﷺ ولم يُطلع أحداً سواه.

وقد ورِث هذا العلم، الأئمة الهادون والمرشدون من أهل البيت مما لهم من خصال، واستحقاق.

كلام فيه رائحة التشيع الإمامي الاثني عشري وقد اقترب منهم، في قوله بالنص والوصية، وعلوم الأئمة.

لم يقل ذلك من سبقه من أئمة الزيدية، كزيد، والقاسم الرسّي.

ويقول الهادي، أن الإمامة هي توفيق من الله، وتسديد الإمام، وتأييده بالحكمة، ومن أوتي الحكمة، فقد أوتي خيراً كثيراً، والدليل ما يُظهر الإمام من حسن علمه ودقائق فهمه، وحسن تعبيره وتمييزه.

من كتاب (النبوة والإمامة).
ليحي بن الحسين (الهادي)

الفصل الثالث
دعاة الزيدية في طبرستان

طبرستان والديلم، مناطق جبلية تقع على بحر قزوين ـ وهي منعزلة، كان سكانها من المجوس، إلى أن فتحها الخليفة المنصور العباسي، ولكنه أهمل شأنها لبعدها ووعورة أرضها.

وكان (الحسن بن زيد)، مع يحيى بن زيد حين خرج، أثناء خلافة المتوكل، ولما قتل يحيى بن زيد، فرَّ الحسن بن زيد مع أصحابه إلى الديلم، ثم إلى طبرستان، حيث نشر دعوته، فبعايعه أهلها لسخطهم على ولاة العباسيين، ولأنهم وجدوا في دعاة الزيدية نمط آخر من الرجال، حيث تضمنت كتب الحسن بن زيد إلى الناس:

العمل بكتاب الله وسنة رسوله، وما صحَّ من أمير المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب في أصول الدين وفروعه، وقد لُقِّب الحسن بن زيد، بالداعي الكبير، ودخل مدينة (آمل) عاصمة طبرستان عام 250هـ، حيث بايعه أهلها بالإجماع، ثم غزا بعد ذلك، الريّ ثم جرجان، إلى أن توفي عام 270هـ، ومع أن الحسن بن زيد، فقيهاً عالماً له من الكتب: (الجامع في الفقه) و(الحجة في الإمامة) إلا أنه في نظر الزيدية، داعياً وليس إماماً.

تولى بعد حسن بن زيد، محمد بن زيد، أمْرَ الدعوة الزيدية ودُعي بالداعي الصغير، وكانت الحرب بينه وبين العباسيين سجالاً، تلاحقه جيوش العباسيين في الديلم والطالقان تارة، ويحتل هو نيسابور تارة أخرى، حتى انتهى أمره بالقتل، وقطع رأسه عام 287هـ، بعد أن حكم طبرستان، سبعة عشر عاماً، وقد خضعت بعدها للسامانيين، إلى أن استعادها الناصر الأطروش.

الحسن الأطروش

(الناصر للحق) ودولة الزيدية (الناصرية في الديلم)

«دخلتُ بلاد الديلم وأهلها مشركون، دعوتهم إلى الإسلام فدخلوا فيها أفواجاً، وعرفوا التوحيد والعدل، يدعون إليهما محتسبين، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر».

(الناصر الأطروش)

هو ابو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف لُقّب (بالناصر) لدين الله وعرف بالناصر الكبير، أو الناصر الحق، وقد تسمى بهذا الاسم أكثر من إمام من الزيدية، وسُمّي الأطروش، لطرش أصابه حين ضربه بالسياط، عامل الدولة العباسية، بنيسابور وجرجان، فوقع السوط على أذنه فأصابه طرش.

كان جامعاً لعلوم القرآن، والكلام والفقه والحديث والأدب، سُئل عنه الهادي يحيى بن الحسين، فقال الناصر عالم آل محمد، ووصفه بأنه بحر زاخر.

وقد أسلم على يديه خلق كثير، دانوا بمذهب الزيدية، ولم يكن في طبرستان والديلم وتلك النواحي، من يعرف اسم الله، إذ كانوا على الشرك والمجوسية وقد خطب فيهم مرّةً فقال:

أيها الناس إني دخلت بلاد الديلم، وهم مشركون يعبدون الشجر والحجر، ولا يعرفون خالقاً، ولا يدينون بدين، فلم أزل أدعوهم للإسلام، وأتلطف في العطف بهم، حتى دخلوا فيه أرسالا، وظهر لهم الحق، فعرفوا التوحيد والعدل، فهدى الله بي منهم، زهاء مائتي ألف رجل وامرأة، منهم الآن يتكلمون في

التوحيد والعدل، مستبصرين، مجتهدين، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويقيمون حدود الله، في الصلوات والفرائض، ومنهم من لو وَجَد ألف دينار مُلقى في الطريق لم يأخذها لنفسه، لا يفرون من الزحف على الكفار، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم، أو أكابرهم حباً في القتل والشهادة.

لا أتخذ من الظلمة أعواناً، ولا آنس إلا بأهل العلم، فاسألوني عن أمر دينكم، وعن العلم في تفسير القرآن، فإنا نحن تراجمته، وأولى الخلق به، هو الذي قُرِنَ بنا وقُرِنّا به إذ قال أبي رسول الله ﷺ:

«إني مخلّفٌ فيكم اثنين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، كتاب الله وعشرتي أهل بيتي».

ولقد استجاب أهل الديلم وطبرستان للناصر الأطروش، ودانوا بدين الإسلام، لأنهم وجدوا خُلقاً مختلف تماماً عن ولاة العباسيين.

كان عالماً زاهداً، وقد نقل عن رسول الله ﷺ قوله: «لو أن عبداً قام ليله، وصام نهاره، وأنفق ماله في سبيل الله، وعبد الله بين الركن والمقام، ولم ينصر عبداً مظلوماً، لما صعد إلى الله عمله، حتى يظهر المحبة لأولياء الله، والعداوة لأعداء الله.

بنو بويه في بغداد
(والصاحب بن عباد)

بنو بويه:

تجمعت عدة عوامل ساعدت على قيام تلك الدولة الزيدية التي كان لها شأن وسلطان حتى على الخليفة في بغداد، فمنذ أن استعان الخليفة (المعتصم) بالأتراك واحتلّ هؤلاء مراكزهم في ا لدولة العباسية وهيمنوا على شؤونها، أثار ذلك الشعوب الأخرى، وخاصةً الفرس الذين كانت لهم السيادة من قبل وخاصة في عصر المأمون، فانقسمت الدولة العباسية إلى دويلات، فاستولت الظاهرية في خراسان وهم فرس (205 ـ 259هـ) والصفارية في فارس (254 ـ 290) ثم السامانية في بلاد ما وراء النهر (261 ـ 389هـ) والزيدية في جرجان (266 ـ 434) ثم استولت بني بويه على الديلم وطبرستان ثم فارس والعراق (334 ـ 447هـ) وأصلهم من الديلم الذين أسلموا وتزيَّدوا على يدي الناصر الأطروش.

يختلف المؤرخون حول نسبهم، فأرجعة بعضهم إلى أحد ملوك الفرس الساسانيين، عندما انتشر أولاد هذا الملك الثلاثة: وهم:

ـ عماد الدولة (عليّ بن بويه) فحكم فارس والأهواز.

ـ وركن الدولة (الحسن بن بويه) فحكم الري والجبل وجرجان.

ـ ومعز الدولة (أحمد بن بويه) وقد حكم العراق، ويقال أن الخليفة العباسي (المستكفي بالله) هو الذي خلع عليهم هذه الألقاب ويقال أن معز الدولة، فكَّر في خلع الخليفة، لأنه يعتقد أن الخلفاء العباسيين هم مغتصبوا

حقوق العلويين، منذ أن اغتصب، أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور حق محمد النفس الزكية في الخلافة، ولكن أحد المقرّبين من معز الدولة، أشار عليه ألا يفعل. ولم يكن سلطان بني بويه، هو المظهر الوحيد لضعف الدولة العباسية، وإنما زادها ضعفاً محاولة الأتراك استرداد سلطانهم، ثم الحرب بين بني بويه والحمدانيين في الموصل والشام.

وبدأ الصراع بين أفراد الأسرة من بني بويه، وقد عرف الكثير من السلاطين البويهيين بالجبروت والطغيان، وكانوا يعزلون الخلفاء العباسيين في مهانة بالغة.

لم يبق من مظهر الزيدية في سلطنة بني بويه سوى بعض الرسوم والأشكال، كالاحتفالات الرسمية بالمواسم الشيعية، مما أثار أهل السنَّة وأدّى إلى قيام اضطرابات طائفية بينهما كان الوزراء البويهيون يسيرون مسافة فراسخ، حتى يدخلوا كلاً من مشهدي الإمام علي في النجف، والشهيد الحسين في كربلاء[1]، قدسُّوا الأموات بعد أن أماتوا قيمهم ومبادئهم التي من أجلها استشهدوا، فأين معز الدولة، من الناصر الأطروش ذلك سلطان، وهذا إمام، وهكذا كان بنو بويه موالين لآل البيت، ولكنهم لم يوالوا قِيمَهم ولا مبادئهم.

(1) أحمد أمين ظهر الإسلام ص55.

الصاحب بن عباد

(٣٢٦ ــ ٣٨٥هـ)

لــو شــقَّ قــلــبــي يــرى وســطــه سـطـران قـد خُـطّـا بـلا كـاتـب
الــعــدل والــتــوحــيــد فــي جــانــب وحــب آل الــبــيــت فــي جــانــب
(الصاحب بن عباد)

كانت الدولة العباسية منقسمة إلى دويلات:

الفاطميين في مصر، وكانت حلب والفرات الأعلى تحت إمرة بني حمدان، والقرامطة في عُمان والبحرين والبصرة، والسامانيون في خراسان وما وراء النهر ومقر ملكهم مدينة بُخاري، وكان الأمر في العراق وفارس للديلم وبني بويه، ولم تكن للخليفة العباسي إلا سلطة وهمية.

ومع هذا الإنقسام السياسي للدولة العباسية، فقد كان القرن الرابع الهجري من أخصب قرون الحضارة الإسلامية في مجال الفكر، إن مظاهر القوة في الحضارة الإسلامية، كانت تشع كلها من الدين، وكان الضعف بسبب من السياسة التي أورثت المسلمين، العداوة والبغضاء، وقد تفرقوا بسببها شيَعاً وتقسموا دويلات.

كانت دولة بني بويه، صورة قاتمة للتشيع الزيدي، ولكن أحد وزرائها هو (الصاحب بن عباد) كان بفكره وأدبه، صورة مشرقة إن بني بويه بالرغم من سوء تصرفاتهم، وبالرغم من أن السياسة قد لوثتهم بشرورها، فقد كان معظمهم شديدي الشغف بالعلم والأدب، والفرس كانوا أهل حضارة، كان وزراء بني بويه من الأدباء والشعراء والكتّاب، وكانوا أشهر أدباء العصر، ومن هؤلاء: ابن العميد، والصاحب

بن عباد، وقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد المعتزلي.

والصاحب بن عباد، هو القاسم بن أبي الحسن عباد، كان (أبو عباد) معتزلياً صنَّف كتاباً في أحكام القرآن، وكان وزيراً لركن الدولة، وقد تلقى الابن الأدب وعلوم الدين عن الأب.

ويُعد الصاحب من أكبر الأدباء، وقد مزج اصول المعتزلة مع عقائد الزيدية مع الأدب والشعر:

من أقواله:

العدل والتوحيد مذهبي الذي يزهى به الإيمان والإسلام
وولايتي لمحمد ولآلِهِ ديني وحصن الدين ليس يرام

وكان الصاحب محدّثاً لغوياً إلى جانب الأدب والكلام وكان يحث على طلب الحديث وكتابته وروايته، وفي ذلك يقول: «من لم يكتب الحديث لم يجد حلاوة الإسلام».

من مؤلفاته:

- الوقف والابتداء.
- مختصر اسماء الله تعالى وصفاته.
- نُضرة الزيدية (حقَّقه الدكتور ناجي حسن)

تعقيب

الصاحب بن عباد، هو وزير بني بويه الأشهر وداعيتهم الأكبر، وقد انضم كثيرون إلى المذهب الزيدي تقرَّباً إليه وتأثراً به.

الباب الرابع

الفصل الأول

بين الزيدية والمعتزلة:

ارتبطت الزيدية بالمعتزلة، على نحو وثيق منذ نشأة كل من الفرقتين، وظلت الصلة قائمة إلى أن أَفَلَ نجم الإعتزال، وقد قامت الزيدية بدور جليل، إذ احتفظت بمؤلفات المعتزلة وحافظت على تراثهم.

كان الاعتزال الخالص قد خبا وأَفَلَ نجمه، وبقي تراث معتزلة متشيعون، أو شيعة معتزلية.

وبالرغم مما جرَّه معتزلة بغداد على الاعتزال كله من اضطهاد، بسبب إثارتهم مشكلة خلق القرآن، حيث جاء الفعل منذ زمن المتوكل عنيفاً، إلا أن ميلهم إلى التشيع هو الذي ابقى الاعتزال تراثاً بعد أن اندثر كفرقة، وقد أحرق العامة كتبهم ومصنفاتهم في القرن الخامس والسادس الهجري، ولكن بعض الكتب تسرّبت من العراق إلى اليمن على يدي القاضي (جعفر بن أحمد) ٥٧٣هـ، شيخ الزيدية ومتكلمهم في اليمن.

وقام الإمام (المنصور بالله) عبد الله بن حمزة (٦١٤هـ) بارسال دعاته إلى خارج اليمن لاستنساخ الكتب والمصنفات، وخاصة مؤلفات المعتزلة، وبذلك حفظت مكتبات اليمن العامة والخاصة تراث المعتزلة.

هذا فضل للزيدية على المعتزلة، لا يُنكر، كانت المعلومات عن المعتزلة مشوّهة، لأنها جاءت عن طريق خصومهم، إلى أن جاءت بعثة ثقافية من الجامعة العربية إلى اليمن عام ١٩٥٤ وأخذت على عاتقها نسخ وتصوير مخطوطات المعتزلة، ونشرها فأحيت بذلك تراثاً ما كان ليرى النور لولا اليمن ولولا الزيدية..

الفصل الثاني

لقاء متبادل: معتزلي تزيّد

الحاكم الجشمي: (413 ـ 494هـ)

«لو قوبل جميع من في العالم بعد الأنبياء مع عليٍّ لرجح عليهم».

(الحاكم الجشمي).

المتكلم المعتزلي ثم الزيدي، (أبو السعد المحسن) ابن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي، كان حنفي المذهب معتزلياً، ثم تحوَّل إلى المذهب الزيدي، بعد أن أخذ عن أحد أئمتهم.

له مؤلفات كثيرة، وقد كان عالماً في التفسير والحديث والفقه والكلام، وترجع أهمية الحاكم الجشمي إلى عاملين:

1 ـ أن تفسيره للقرآن، هو أهم مرجع استند إليه (الزمخشري في الكشاف).

2 ـ أن كتبه الكلامية، قد اعتمد عليها ابن المرتضى، اعتماداً كليَّاً، وابن المرتضى هو من أهم متكلمي الزيدية، إن لم يكن أهمهم.

وقد اهتم مفكري الزيدية في اليمن بكتب (الحاكم الجشمي).

يذكر الحاكم في كتابه (تنبيه الغافلين) فضائل الإمام علي فيقول:

ما من آية فيها مدح وتعظيم وتكريم وتشريف، إلا وأمير المؤمنين معنيٌ بها، وما من آية ورد فيها عقاب لبعض صحابة رسول الله ﷺ إلى وهو خارج عنها.

لم يؤمِّر عليه الرسول أحداً، وما بعثه في جيش إلا أُمِّر عليهم، وكان صاحب لوائه في غزواته.

ـ أخذ براءة من أبي بكر ودفعها النبي إلى عليّ قائلاً: لا يبلّغها عني إلا أنا أو رجل مني.

ـ أخرجه عند المباهلة، وأجراه مجرى نفسه دون غيره.

ـ وآخى بينه وبين نفسه، لما آخى عليه الصلاة والسلام بين الصحابة قائلاً: هو أخي في الدنيا والآخرة.

ـ زوَّجه الرسول ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين، وقال لها: زوَّجتكِ أغناهم علماً وأقدمهم سلماً.

ـ لم ينكر عليه النبي شيء قط، بل أنكر على من شكاه، معرضاً عنه قائلاً: «ما لكم ولعليّ، عليٌّ مني وأنا منه، وهو وليّ كل مؤمن ومؤمنة.

ـ عن حذيفة وأبي سعيد الخدري، قولهما: كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ببغضهم لعليّ.

ـ وروى ابن عباس، أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 207]. نزلت في عليّ، لما بات على فراش رسول الله.

ـ وعنه أيضاً في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة: 274] نزلت في عليّ، إذ كان معه أربعة دراهم أنفقها سراً وعلناً.

ـ ويوم المباهلة، خرج رسول الله، وعليّ بين يديه، والحسن عن يمينه، قابضاً بيده، والحسين عن شماله وفاطمة خلفه، وقال لنصارى نجران: هؤلاء أبناؤنا وأشار إلى الحسن والحسين، وهؤلاء أنفسنا وأشار إلى عليّ، وهذه نساؤنا، وأشار إلى فاطمة، وهكذا خصهم الله بالفضل وأجراهم النبي مجرى نفسه، فلعنُ عليّ يجري مجرى لعن النبي، وقيل هذا الاختصاص بالفضل لأنهم معصومين.

ـ وروى الإمام أبو طالب (يحيى بن الحسين) باسناده عن جبير عن الضحاك عن ابن عباس: لما أمر الله آدم بالخروج من الجنة، رفع طرفه إلى السماءو فرأى خمسة أشباح عن يمين العرش، فقال: إلهي، هل خلقت قبل أحداً؟ فأوحى الله إليه: قال هؤلاء الصفوة من نوري، اشتققت أسماءهم من اسمي، فقال آدم: فبحقهم اغفر لي، فأوحى الله إليه، قد غفرت لك وتلقى الكلمات من ربه.

ـ ويشير الحاكم الجشمي إلى فضل فاطمة فيقول: كان رسول الله إذا خرج، كان آخر عهده بفاطمه، وإذا رجع كان أول عهده بفاطمه.

ـ وإلى فضل الحسن والحسين، يشير إلى الحديث: الحسن والحسين سيّدا أهل الجنة وأبوهما خيرٌ منهما.

وقوله ﷺ: الحسن والحسين ابناي، من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله، أدخله النار على وجهه.

كما استدل بقول الله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 95] على أن زيد كان أفضل أهل زمانه، ويُذكر عن زيد أن قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: 39] أنه قال فينا نزلت.

ـ وعن جعفر الصادق: في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: 23] أنه قال: والله عمي زيد وأصحابه، على ما ذهب عليه، عليّ والحسن والحسين شهداء من أهل الجنَّة.

ـ وعن محمد الباقر أنه قال: إن أخي زيد خارج وإنه مقتول، وهو على الحق، وويل لمن خذله، وويل لمن حاربه، والويل لمن قتله، قال جعفر الجعفي: قلما سمعت ذلك قلت لزيد، سمعت أخاك يقول كذا وكذا، فقال زيد:

أيسعني أن أسكت، وقد تحولوا عن كتاب الله إلى الجبث والطاغوت، إني شهدت في مجلس (هشام ابن عبد الملك) رجلاً يسب رسول الله، فقلت للسبّاب: ويحك يا كافر، أما إني لو تمكنت منك لأزهقت روحك، فقال هشام:

مه عن جليسنا يا زيد، فوالله لو لم يكن إلا وأنا وابني يحيى لخرجت عليه وجاهدته حتى أفنى. وقال زيد أيضاً: والله إني لأستحي أن ألقى رسول الله ولم آمر بالمعروف ولم انه عن منكر.

الحاكم الجشمي: (تنبيه الغافلين على فضائل الطالبين) مخطوط.

الفصل الثالث

يحيى بن حمزة (المؤيد بالله) 669 ـ 749هـ

هو أبو إدريس (يحيى بن حمزة) بن علي بن إبراهيم بن يوسف ابن علي بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إدريس بن علي (بن محمد الجواد) بن علي الرضاو بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق (لقب بالمؤيد بالله).

ولد بصنعاء، واشتغل بالعلم من صغره، وصحب الإمام المتوكل على الله، (المطهَّر بن يحيى) في حربه ضد الإسماعيلية، أخذ العلم عن الإمام يحيى بن محمد السراجي والفقيه عامر بن زيد الشماخ، قام بالإمامة، بعد وفاة الإمام محمد بن المطهَّر، فنهى عن المنكرات، وحمل الناس على الطريق القويم، وقد حارب علي بن إبراهيم الهمداني وهو داعية للباطنية، وبعد قتال طويل، مال الفريقان إلى الصلح.

دفن بمدينة ذمار وقبره مشهور يزار.

له مؤلفات كثيرة، حتى قيل أن عدد كراريسه، بعدد أيام حياته (729 ـ 749هـ).

من آراؤه الكلامية:

ـ في إقامة الدلالة على أن الله تعالى حكيم:

الغرض من تقرير أنه تعالى حكيم، هو تنزيه الله عن فعل القبيح ولا خلاف بين المسلمين في أن الله حكيم، ولكن المجبرة، يوافقون من جهة اللفظ، ويخالفون من جهة المعنى، إذ يقولون أنه المحدث لجميع الفواحش والمعاصي،

وإنه خالقها ويستدلون بذلك بخلق إبليس، مع عدم المصلحة من خلقه وأنه أضلَّ الكثير من الخلق عن الدين.

والرد عليهم، أنه لو كان فاعلاً للقبيح، لكان غير صادق في جميع ما أخبر به، من وعده ووعيده وقصص أنبيائه، على أن أكثر المسلمين، لا يذهب مذهب المجبرة.

ـــ في الإمامة:

1 ـ القول أن الإمامة بالاختيار محال، ذلك لأن الناس مختلفوا المذاهب والآراء، وكل صاحب مذهب يدّعي أن يكون الإمام على مذهبه، وهذا يؤدي إلى الفتنة.

2 ـ أجمعت الأمة على أن الإمام خليفة الله وخليفة رسوله.

فلو كانت الإمامة بالاختيار ولما كان الإمام خليفة الله ورسوله، لأنهما لم يستخلفاه، وإنما الناس من استخلفوه.

3 ـ الإمامة ركن من أركان الدين، وقاعده من قواعده، بل هي أعظمها وأقواها، فيجب أن لا تكون موكولة إلى رأي الأمة وتفويضها، كما أن أركان الصلاة والصوم والزكاة والحج ليست موكولة إلى أحد، ولا يمكن تفويضها إلى رأي أحد واختياره.

4 ـ لو جاء إثبات الإمامة بالاختيار لجاز إثبات النبوّة بها، فكل منهما من الأسرار الغيبية التي لا يمكن اطلاع الخلق عليها.

ـ عندما كان الرسول يخرج من المدينة، كان يستخلف عليها من يقوم بمصالحها الدينية والدنيوية، فكيف بعد وفاته يدعهم هملاً دون تبيان الإمام بعده؟

وقد أنزل الله بعد استيفاء جميع الأحكام قد أنزل على رسوله ﷺ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وقد بيَّن وكمل الدين بالإمامة.

الفصل الرابع

أحمد بن يحيى بن المرتضى (زيدي اعتزل)

(المهدي لدين الله) ٧٦٤ ـ ٨٤٠هـ

هو (أحمد بن يحيى) بن المرتضى بن أحمد المرتضى، ينتهي نسبه إلى الهادي إلى الحق (يحيى بن الحسين) ولد عام 763هـ بذمار جنوب صنعاء، مات والداه قبل سن الخامسة فاحتضنته أخته (دهماء)[1] وكانت معروفة بالعلم ولها مؤلفات في الفقه وأصوله وفي علم الكلام.

تلقى العلوم الدينية واللغوية من أخيه الهادي بن يحيى، ومن خالهِ علي محمد بن علي.

بايَعهُ العلماء بالإمامة، بعد وفاة الإمام الناصر (صلاح الدين بن محمد) عام 793هـ، بينما بايع الوزراء (عليّ ابن صلاح الدين)، ولكن علي صلاح الدين انتصر عليه، وسجن أحمد بن يحيى، وقد ألَّف في سجنه أهم كتبه في الفقه.

أُفرج عنه بعد سبع سنوات، فتفرَّغ للعلم والتأليف، وقد احتل مكانة فكرية في المذهب الزيدي، لا يدانيهِ فيها أحد، وكان ينتقل للتدريس والتأليف، في مختلف البلدان اليمنية، إلى أن مات بالطاعون عام 840هـ ببلدة (الظفير).

له مؤلفات كثيرة: أشهرها: البحر الزخار/الجامع لمذاهب علماء الأمصار)

---

(1) من مؤلفاتها: (الأنوار شرح منظومة الكافي) (مختصر المنتهى في أصول الفقه) (الجواهر في علم الكلام) وكانت تقوم بالتدريس في بلدة (تلا) توفيت 837هـ.

و(متن الأزهار في فقه الأئمة الأطهار) وتجاوزت شهرته مذهب الزيدية، بفضل كتابيه عن الفرق الإسلامية: (المنبه والأمل في شرح الملل والنحل) وكتاب (الملل والنحل).

وأما كتابه (عيون الأزهار في فقه الأئمة الأطهار) فهو أهم كتب الزيدية في الفقه، وعليه المعتمد في اليمن إلى يوم الناس هذا.

الباب الخامس

الفصل الأول

(حميدان بن يحيى بن حميدان) توفي سنة 656هـ.

(وافقناهم (أي المعتزلة) في الأصول، ولم يوافقونا في الإمامة، فعلام الاتفاق؟).

(حميدان بن يحيى)

الرأي الشائع عن الزيدية، أنهم مشايعون للمعتزلة في أصول الدين، ولكن المعتزلة لا تشايع الزيدية في الإمامة، والإمامة عند الزيدية، بل عند الشيعة بعامة، من أصول الدين، بل إنها من أهم المسائل، كثرة من المعتزلة ترى الإمامة بالعقد والاختيار، لا بالنص ولا بالدعوة أو الخروج، وشيخ المعتزلة واصل بن عطاءو يرى أن أحد الفريقين المتحاربين يوم الجمل على الخطأ، وبذلك أجاز الخطأ على الإمام علي.

لا بد أن يثير موقف المعتزلة من الإمامة ثائرة بعض الزيدية، وأن يثبتوا استقلال الزيدية عن المعتزله في أصول الدين، بل مخالفتهم لهم في كثير من مسائل الدين.

والإمام (حميدان بن حميدان)، الذي ينتهي نسبه إلى (القاسم الرسيِّ) ثم إلى (الحسن بن علي بن أبي طالب) رفع راية التمرد على المعتزلةو مبيّناً مخالفة أئمة الزيدية لأقوالهم، متهماً إياهم بسلوك طريق الفلاسفة في الجدال، فخالفوا أدلة الهدى لمغاليط الضلال وأنهم سمّوا أنفسهم، أهل العدل والتوحيد، وتظاهروا بذم الجهل والتقليد، فاغترّ بهم الكثيرون، وصدُّوهم عن التمسك بعلوم الأئمة، وقد انخدع من جمَعَ بين التشيع والاعتزال، إذ تزعم المعتزلة، أن الأئمة

قد انصرفوا عن دقائق النظر في أصول الدين، قانعين بمجملها مشتغلين بالجهاد، وهذا زعم كاذب. كيف وقد أمر الله بالرجوع إليهم، وردّ ما اختُلِف فيه إليهم، كما طلب مودَّتهم، وحكَمَ في الصلاة، بالصلاة عليهم.

وقد اتخذ حميدان بن يحيى، منهجاً انفرد به في عرض مسائل أصول الدين.

آراؤه الكلامية:

في الإبتلاء

إن الإنسان المكلَّف مبتلي، بأنواع من البلوى وحكمة الله في ذلك هي:

كل عاقل مبتلي بضروب من البلوى ولذلك سمّي مكلَّفاً.

ـ قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: 2].

ـ وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2].

ـ وقال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 35].

ـ وقال في بلوى المفاضلة: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: 165].

والحكمة في الابتلاء، ما أخبر عنه سبحانه، التمييز بين المطيعين والعاصين، بما يظهر عند الابتلاء من أسرارهم، لأنه سبحانه لا يعذب على ما يعلم من معاصي العباد قبل ظهورهما، ولا يكون ظهورهما إلا بالابتلاء والامتحان.

قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت: 2] وقال عز وجل: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: 169].

لقد امتحن الله ملائكته بالسجود، لآدم فسجدوا إلا إبليس، وامتحن طالوت بتحريم الشرب من النهر، فشربوا منه إلا قليلاً منهم، وامتحن أصحاب القرية

بتحريم صيد السبت، وامتحن قوم موسى بمغيبهِ عنهم بعد أن استخلف هارون فيهم، وغير ذلك مما يدل على أنه سبحانه، يمتحن أهل كل عصر وإلى يوم القيامة. بما يميز بينهم، بعد أن يُقيم الحجة عليهم، ليُهلك من هلك من بيّنة، ويُحيي من حيَّ عن بيّنة.

ولذلك قرَنَ سبحانه وجوب طاعتهِ، بطاعةِ رسولهِ، وأولي الأمر القائمين مقام الرسول، وامر برد ما أُشكل أو تشابه عليهم، كما أمر نبيّهِ أن يُعرّف الأمة بهم.

يقول الإمام عليّ: «لم يُخلِ الله سبحانه خلقه، من نبي مرسل وكتابٍ منزل، وحجةٍ لازمة ومحجةٍ قائمة».

الباب السادس

الفصل الأول
الاتجاه الزيدي المنفتح على أهل السنة

ابن الوزير (محمد بن إبراهيم)

هو محمد بن إبراهيم، ينتهي نسبه إلى الإمام الهادي إلى الحق، كنيته أبو عبد الله ولقبه (عز الدين).

ولد (بهجرة[1] الطهراوين) باليمن، وتوفي 840هـ.

نشأ في بيت علم، عاصَرَ كبار العلماء من المذهب الزيدي، منهم الهادي بن يحيى، والناصر بن أحمد المطهر، ثم أكبر مفكري الزيدية وابعدهم أثراً في الفقه والكلام (أحمد بن يحيى المرتضى).

قرأ على أكبر مشايخ صنعاء وصعدة، وسائر المدن اليمنية وسافر إلى مكّة طلباً لمزيد من العلم.

له مؤلفات عديدة

---

(1) اسم بلد في اليمن.

الفصل الثاني

ابن الأمير (محمد بن إسماعيل ١٠٩٩ ــ ١١٨٢هـ

هو محمد بن إسماعيل، ينتهي نسبه إلى الأمير يحيى بن حمزة الحسيني.

أخذ عن أبيه علوم الفقه والنحو والبيان وأصول الدين.

سافر إلى الحجاز أربع مرات من أجل العلم وأداء الفريضة في عصر ابن الأمير وكان هناك تياران متصارعان:

1 ـ التيار الملتزم بالمذهب الزيدي

2 ـ والتيار المنفتح على المذاهب الأخرى، وخاصة أهل السنة ولكن الدولة لم ترض عن هذا التيار، لأنها وجدت فيه خطراً يهدد الكيان الزيدي.

وقد استنكر، هذا الاتجاه، بعض الحكام، حتى أن أحدهم تبرأ منه ومن انتسابه إلى أهل البيت.

يقول محمد بن يحيى حميد الدين: محمد بن إسماعيل (ابن الأمير) ليس منّ أهل البيت.

وقد عاش (ابن الأمير) عصر اضطراب سياسي، يتمرد فيه الابن على أبيه، ويحارب الأخ أخاه، والقبائل تغزو المدن وتستبيح الحرمات، وقد تعرَّض ابن الأمير للقتل أكثر من مرّة.

وفي عصور التدهور، تشيع الشعوذة والخرافات، ويكثر أدعياء التصوُّف

وفي هذه الفترة، ظهرت الحركة الوهابية في أواخر أيامه، سمع ابن الأمير أنها قامت لمحاربة البدع وإعادة مذهب السلف فأسرع بتأييدها ولكن عِلِم بعد ذلك، أنهم يكفّرون الناس ويستبيحون دماءهم، فتراجع عن تأييده، مُنكِراً عليهم فِعالهم.

توفي ابن الأمير 1182هـ.

الفصل الثالث

الشوكاني (محمد بن علي) ــ ١١٧٣ ــ ١٢٥٠هـ

هو القاضي الحافظ بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ينتهي نسبه إلى (هجرة الشوكاني) من خولان باليمن، درس القرآن في صغره، ثم تعلم من والده بعض فنون العلم (كالازهار)، درس مختلف العلوم على مشايخ عصره.

تولى القضاء عام 1209هـ، فأراد تطبيق ما يدعو إليه من آراء فقهية، ولكنه وجد مقاومة، من متفقهي عصره.

عاش حياة العلماء، بين الدرس والتدريس، وقد اشتغل فترة من حياته، بالقضاء والوزارة بين عام 1209 حتى وفاته عام 1250 ولا شك أن منصب القضاء قد قرَّبه من الحكام، توفي بصنعاء عام 1250هـ.

هو مفسِّر ومحدّث وفقيه وأصولي فضلاً عن كونه مؤرِّخاً وأديباً، ولم يتلقى العلم عن أحد خارج اليمن، إذ لم يغادر صنعاء قط، وقد شرع في الاجتهاد، وهو دون الثلاثين، وامضى معظم وقته في التدريس، وكان يدرِّس في التفسير والحديث والفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة، وكان إلى جانب ذلك، يجيب على الفتاوى التي ترِدُ إليه من أنحاء اليمن، حتى كادت الفتوى تقوم عليه وحده منذ بلوغه سن العشرين.

للشوكاني، مؤلفات تزيد على المائة في الفقه والأصول والحديث والتفسير والتاريخ، وربما كان من أكثر مفكري اليمن حظاً من حيث طبع مؤلفاته ونشرها بفضل تلاميذه.

من آرائه:

الرجوع إلى الحق فضيلة، ولكنها آفة الغرور!

من جملة الأسباب، التي تمنع عن قول الحق وترك الإنصاف التعصب للرأي، وكتم الحق ما يقع بين أهل العلم من الجدال والمراءاة، يجد الرجل في المناظرة ويرى الحق، ولكن الهوى ومحبة الغلبة، وطلب الظهور وآفة الغرور تجعله يصمم على مقاله، تسوّل له نفسه الأمَّارة بالسوء، أن ذلك يُنقِص من قدره، ويحطُّ من شأنه، مع أن الرجوع إلى الحق هو الذي يوجب للشخص الجلالة والنبالة وحسن الثناء وهذا نوع من التعصب، يقع فيه الكثيرون، لا سيما إذا كانت مقالتهم بمحضر من الناس، يحمله ذلك، على التمسك بالباطل أنفة عن الرجوع إلى رأي من هو أصغر منه سناً، أو أقل منه علماً، أو أقل شهرةً، ظناً منه، أن في ذلك ما يحطُّ من قدره، مع أن المنقصة هي في التصميم على الباطل.

الخاتمة

المذهب الزيدي: ما له وما عليه:

لا أستطيع وأنا كاتب هذه السطور (وإنا من أهل السنة) أن أخفي إعجابي بالمذهب الزيدي لأسباب:

ـ أنه في عصر تدهور الفكر، أنجب مجتهدين كبار كالمقبلي وابن الأمير، والشوكاني، بينما عقمت مذاهب أخرى أن تنجب مثلهم، ومن الغريب أن اليمن، ما كانت أحسن حالاً من سائر الأمم الإسلامية، إن لم تكن أسوءهم، من الناحية الفكرية والسياسية والاقتصادية.

ـ كانت الزيدية أكثر فرق الشيعة انفتاحاً واعتدالاً عن المذاهب الأخرى.

هذا الاعتدال الذي تميزوا به، بالنظرة إلى الصحابة والتمييز بين المجاهدين الأولين، وبين المؤلفة قلوبهم، ممن أسلم متأخراً، على خلاف أهل السنة، الذين يترضُّون على الجميع، حتى على معاوية.

الزيدية أكثر تفهماً لمعنى الصحبة، من أهل السنّة، الذين جعلوا من كل من عاصر الرسول صحابياً.

ـ الدور الجليل الذي أداه الزيدية، حين حملوا تراث المعتزلة، ولولاهم لقضت عليه أحقاد الخصوم، وقد تأثر الزيدية بالمعتزلة إذ منحتهم النزعة العقلية، حصانة من الخرافات التي خيمت على المذاهب الأخرى في عصور الإنحطاط.

ـ نجد لدى المتأخرين من الزيدية فكراً يفيض، حيوية وخصوبة، كما لو

كنت تقرأ لأحد المتقدمين، فلا يقل فكر يحيى بن حمزة، وابن المرتضى، وابن الوزير، عن فكر الإمام زيد، أو يحيى بن الحسين أو الناصر الأطروش.

بينما تجد بوناً واسعاً، بين فكر كل من الباقلاني والغزالي، وبين فكر المتأخرين من الأشعرية كالحشو والاراجيز والأوهام.

الإمامة عند الزيدية:

ـ الإمامة مقصورة على ذرية النبي.

ـ سبيل الإمامة هي الدعوة.

ـ الخروج على الحكام الظالمين شرط من شروط صحة إمامة الإمام.

إن أحقية آل البيت بالخلافة ومقابل وجهتي نظر قريش والأنصار، حين أعلن أبو بكر أن الخلافة من قريش، قال الإمام عليّ: احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة.

وقد استند الزيدية والشيعة بشكل عام، بصدد الوراثة، إلى ما كان عليه حال الأنبياء، إذ كانت النبوّة عقب إبراهيم وراثية (يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم) كذلك استندوا، إلى دعوة إبراهيم.. إني جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتي..

أما أحقية أهل بيت النبي بوصفهم اقربهم إليه رحماً، وقد دعمت الظروف التاريخية دعوى أحقية آل البيت، وقد قال عمر بن الخطاب للعباس عم النبي:

(إن قريشاً قد رأت ألا تجمع لكم النبوَّة والخلافة).

فإنّ ادعى غير الشيعة، أن صلة الدم ليست مبدءاً شرعياً، يحق للشيعة أن يقولوا، أن قتل آل بيت النبي، واستشهادهم بسبب قرابته، أمر غير مقبول شرعاً، ولا يستسيغه العقل وكأن آل الرسول، استبعدوا لقرابتهم للرسول، وقد قال زين العابدين: وما خصصنا به من الشرف الرفيع في الأنام آمتنا.

ولم يكن مجرد استبعاد لآل البيت، وإنما ملاحقة واضطهاد وتشريد وتقتيل.

حتى أصبح كل طامع في الخلافة، عليه أن يسب آل البيت وخاصة سبَّ عليّ، أرادها معاوية، سُنّةً يشب عليها الصغير، ويشيب عليها الكبير.

لم يكن ذلك دأب الأمويين فقط، وإنما شاركهم ابن الزبير، ولم يتورع العباسيون مع قرابتهم للعلويين، عن مثل ذلك، حتى أصبح مجرد الانتساب إلى ذرية الرسول مبرراً للاضطهاد.

هذا الاضطهاد التاريخي، هو الذي أذكى في نفوس الشيعة دعوى أحقية آل البيت وليس السند الشرعي.

فلو أن الخلفاء الأمويين، والعباسيين، عرفوا لآل البيت مكانتهم، لما كان هناك معارضة.

ولكن صدق قول الله، بهؤلاء الحكام الظالمين: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: 22].

وقد اكتسب معظم أئمة الزيدية، مكانتهم في قلوب أتباعهم لعلمهم، ولجهادهم، ولدينهم.

ويستند الفكر الزيدي بصدد الإمامة، إلى فكرة الخروج على الظالمين.

وللفرق الإسلامية بصدد هذا السؤال رأيين متباينين:

ـ رأي يقول: السمْعُ والطاعة للحاكم برّاً كان أم فاجراً، ومن شقَّ عصا الطاعة، فيقتل كان من كان، وإن مات فقد مات ميتة جاهلية.

ـ ورأي يقول: الخروج على الظالم تطبيقاً لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لم ينجم عن الرأي الأول، إلا تتابع حكم الغلبة والجور، في معظم عصور التاريخ الإسلامي، حتى اصبح قيام حاكم عادل، فلتة من فلتات التاريخ، كسنتي خلافة عمر بن عبد العزيز، طوال حكم الدولة الأموية، التي حكمت أكثر من تسعين عاماً.

ونجم عن الرأي الثاني، تتابع القتل لأئمة أهل البيت فضلاً من عما يرافق ذلك من خراب.

وأخيراً. فإن قُدِّر لهذا الكتاب أن يكشف عن صورة ناصعة من صور الفكر الإسلامي، وأن يستحث المسلمين بعامة واليمنيين بخاصة، على مزيد من الدراسة والبحث في الفكر الزيدي، وأن يستنهض الهمم لتطوير المذهب اكون بذلك قد أديّت ما عليّ.

والله أسأل أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهو ولي الهداية والتوفيق.

المؤلف

د. أحمد محمود صبحي

كلية الآداب

جامعة الإسكندرية

فهرست المحتويات

مقدمة الطبعة الأولى: (مختصر) 3
الزيدية 4
الباب الأول 6
الفصل الأول 6
يثير هذا المعتقد تساؤلين: 6
نشأة التشيُّع: 7
في أن التشيُّع قد نشأ عقب وفاة النبي: 7
١ ـ وجهة نظر الأنصار: 8
٢ ـ وجهة نظر المهاجرين: 8
٣ ـ وجهة نظر بني هاشم: 8
خلافة عثمان 10
كارثة كربلاء 11
الفصل الثاني 13
لندع متكلمي الشيعة وعلماءهم يعلّلون ذلك: 13
تعقيب 14
يقول النقيب أبو جعفر في نهج البلاغة 14
خلل اقتصادي أراد أن يصلحه: 16
هرم اجتماعي مقلوب أراد أن يُعدِّله: 17
وضع سياسي معوج أراد أن يقومه: 18

وحيد إلا مع نفر قليل معه، أمام تيار جارف من المطامع الدنيوية 18
تحذير بسوء العاقبة، قبل أن يموت وقد تحققت النذر كلها: 19
ربانيّ هذه الأمة: 20
الفصل الثالث 21
فرق الشيعة: 21
الزيدية، الإثنا عشرية، والإسماعيلية 21
الإثنا عشرية: 22
ما هو الاختلاف بين الفرق الشيعية الثلاث: 22
الباب الثاني 26
الفصل الأول: الإمام زيد وتابعوه 26
الإمام زيد ٨٠هـ ـ ١٢٢هـ 26
آراؤه السياسية: 27
آراء متقاربة مع المعتزلة: 28
٢ ـ حرية إرادة الإنسان: 28
آراء متعارضة مع الإمامية: 29
٢ ـ إنكار التقيَّة 29
٣ ـ إنكار العصمة والعلم اللدني 29
آثاره في الفقه والحديث: 30
الفصل الثاني 31
أئمة جهاد واستشهاد 31
محمد النفس الزكية 33
حركة إبراهيم بن عبد الله بالبصرة: 37
عيسى بن زيد 38

الحسين بن علي (الفخّي): 38
يحيى بن عبد الله: 39
ابن طباطبا: 39
محمد بن محمد بن زيد: 40
تعقيب 40
الفصل الثالث 41
فرق الزيدية: 41
فرق اميل إلى أهل السنة: 41
فرقة تدين ببعض آراء الإثنا عشرية: 41
الباب الثالث 42
الفصل الأول 42
دعاة خروج، وبناة دول 42
إدريس الثاني: 43
الفصل الثاني 44
القاسم الرسي (١٦٩ ـ ٢٤٦هـ). 44
آراؤه الكلامية: 44
يحيى بن الحسين (الهادي إلى الحق): ٢٤٥ ـ ٢٩٨هـ 46
دولة الزيدية الهادوية في اليمن 46
سيرته: 46
مصنّفاته: 47
آراؤه الكلامية: 48
في العدل 49
ـ في الوعد والوعيد: 49

ـ الإيمان برسالة محمد: 49
في الإمامة: في شروط الإمام: 49
ـ إن الإمامة ليست بالبيعة والاختيار: 50
قال الله تعالى: 51
يحيى بن الحسين (الهادي إلى الحق)
هو أهم شخصية في المذهب الزيدي لا يفوقه، إلا المؤسس الإمام زيد. 51
إن تثبيت النبوّة والإمامة، لها علامات: 52
الفصل الثالث دعاة الزيدية في طبرستان 53
الحسن الأطروش (الناصر للحق) ودولة الزيدية (الناصرية في الديلم) 54
..... 56
بنو بويه في بغداد (والصاحب بن عباد) 56
بنو بويه: 56
الصاحب بن عباد 58
(٣٢٦ ـ ٣٨٥هـ) 58
كانت الدولة العباسية منقسمة إلى دويلات: 58
من أقواله: 59
من مؤلفاته: 59
تعقيب 59
الباب الرابع 60
الفصل الأول 60
بين الزيدية والمعتزلة: 60
الفصل الثاني 61
لقاء متبادل: معتزلي تزيّد الحاكم الجشمي: (413 ـ 494هـ) 61
الفصل الثالث 65

من آراؤه الكلامية: 65
ـ في الإمامة: 66
الفصل الرابع 67
أحمد بن يحيى بن المرتضى (زيدي اعتزل) 67
الباب الخامس 69
الفصل الأول 69
(حميدان بن يحيى بن حميدان) توفي سنة 656هـ. 69
آراؤه الكلامية: 70
في الإبتلاء 70
الباب السادس 72
الفصل الأول: الاتجاه الزيدي المنفتح على أهل السنة 72
ابن الوزير (محمد بن إبراهيم) 72
الفصل الثاني 73
ابن الأمير (محمد بن إسماعيل ١٠٩٩ ـ ١١٨٢هـ 73
الفصل الثالث 75
الشوكاني (محمد بن علي) ـ ١١٧٣ ـ ١٢٥٠هـ 75
من آرائه: 76
الخاتمة 77
المذهب الزيدي: ما له وما عليه: 77
الإمامة عند الزيدية: 78
وللفرق الإسلامية بصدد هذا السؤال رأيين متباينين: 79